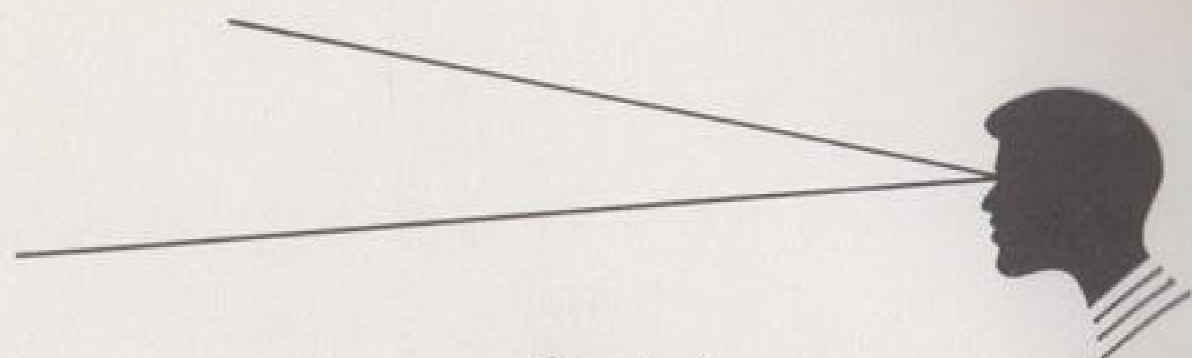
١٣

سلسلة رجل المهام الصعبة

جزيرة السفّاح





سلسلة
رجل المهام الصّعبة

المغامرة الثالثة عشرة

جزيرة السفّاح

تأليف : مجدي صابر

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٩٩٣



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقياً: دار جيلاب - تلكس: ٤٢٦٤١ دار جيل

رجل المهام الصعبة:

إنها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم «ماجد شريف».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

وإذا كان «جيمس بوند» هو أسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن «ماجد شريف» هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير «ماجد شريف»..

ولم يحدث أن خيّب «ماجد» أمل رؤسائه فيه أبداً..

إعصار.. وطلقات رصاص!

ألقى قبطان سفينة البضائع المصرية «حتشبوت» نظرة إلى الأفق البعيد، وراقب بعض السحب الخفيفة المتجهة في السماء، وقرص الشمس الساخن يبددها شيئاً فشيئاً، وقد التمع سطح المحيط حوله بلون ذهبي فاتن، فالتفت إلى مساعده قائلاً: إن الجو رائع وخاصة لمثل هذا الوقت من الشتاء.. ويبدو أن رحلتنا ستكون جيدة في طقس دافئ ممتاز.

أجاب المساعد باسماً: هذا ما تنبئ عنه الأحوال الجوية يا سيدي، بالرغم من أن الأرصاد الجوية تنبأت بحدوث عاصفة عاتية صباح اليوم.

القبطان: إذا ما تمكنّا من الوصول إلى خط عرض عشرين شمالاً مساء هذا اليوم فسنصل إلى مضيق جبل طارق بعد

يومين ، هذا إذا سارت الأحوال الجوية بمثل هذا التحسن .

وأخرج من حزامه نظارة مقرّبة صوبها إلى نقطة بعيدة راح يتأملها في شغف ، فتساءل المساعد : ألا تزال مولعاً بتلك الجزر يا سيدي المسماة بجزر «الرأس الأخضر»؟

أجاب القبطان وهو لا يزال يواصل مراقبته البعيدة قائلاً : إنها جزر رائعة ، وقد حططنا عليها ذات مرة عندما اشتدت العواصف واضطررنا للإلتجاء إليها منذ بضع سنوات قريبة ، إنها أشبه بلوحة طبيعية فاتنة بأشجارها الإستوائية ونباتاتها وطيورها البحرية الغريبة ، ولو أتيح لي قضاء اجازة لما اخترت أجمل من هذه الجزر المجهولة التي لا يسكنها غير قوم بدائيين ، لا يعرفون شيئاً عن المدنية أو التحضر .

ابتسم المساعد لما قاله القبطان . . ولكن وجهه ما لبث أن اكتسى بالقلق الشديد وهو يراقب السماء قائلاً : يبدو أن الأرصاد الجوية لم تخطئ بشأن الطقس يا سيدي .

وأشار جهة الغرب . وفي أقصى السماء بدت سحابة رمادية مخيفة الشكل تقترب بسرعة بالغة . وسرعان ما تحولت السماء إلى لون مظلم وهبت رياح عنيفة . ثم دوى صوت فرقعة مثل



انفجار القنابل المتتابع ، وراحت السفينة الضخمة تتأرجح بعنف فوق سطح المحيط كما لو كانت قطعة من الفلين تتقاذفها أيدي مردة مجانين ، وصاح القبطان : إنه إعصار وليس عاصفة . . ومن أين أتى هذا الإعصار المجنون؟

ولكن ما أجاب على سؤال القبطان كان موجة هائلة ضربت ركن السفينة الأيسر في عنف مروع فهشمت حاجزها الخلفي . واندفعت الرياح المزمجرة لتطيح بكل ما تصادفه فوق السفينة وتقتلع أبراجها المعدنية الهائلة لتطيح بها بعيداً .

وصرخ المساعد وهو يتشبث بحاجز السفينة: لن ننجو من هذا الإعصار المدمر .

وصاح القبطان في كبير ملاحيه : أطلقوا العنان لسرعة السفينة . . وقودوها نحو جزر «الرأس الأخضر» . . إنها أملنا الوحيد للنجاة .

واعترض كبير الملاحين بصوت بددته العاصفة قائلاً : إن السير بأقصى سرعة هو عملية انتحار في مثل هذا الطقس ، فقد تتسبب موجة عاتية في إغراق السفينة .

ولم يكمل كبير الملاحين عبارته ، ففي اللحظة نفسها دوى

صوت عنيف عندما اندفعت موجة هائلة لترتطم بحاجز السفينة ثم تصدم كبير الملاحين في عنف، وفي ثانية واحدة ألقته في قلب المحيط الهائج لتبتلعه الأمواج في غمضة عين.

وصرخ القبطان في رجاله: بأقصى سرعة.. قودوا السفينة إلى «الرأس الأخضر» بأقصى سرعة.

وفي الحال زمجرت محركات السفينة بكل قوتها، واتجهت مقدمة «حتشبسوت» نحو الغرب تجاه الجزر التي كانت لا تبعد أكثر من كيلو مترات قليلة.

واندفعت الرياح في عنف لتطيح بأربعة من البحارة إلى قلب المحيط الثائر، كان من الجنون بذل أي محاولة لإنقاذهم.

وصرخ الربان في رجاله: تشبثوا بأي شيء حولكم.

واندفع البحارة يتشبثون بكل ما يجدونه أمامهم، ويربطون أنفسهم بالحبال إلى أركان السفينة المترنحة المندفعة بأقصى سرعتها.. وانفجارات الرياح حولهم تبدو كما لو كانت أصوات فرقعة قنابل مجنونة.

وفجأة دوى صوت هائل، وانبعث شرر من السماء كان أشبه بومضة من الجحيم أو سيف ناري ساقط من السماء.

وسقط سيف البرق فوق مؤخرة السفينة ليحطمها ويجعلها تبدو أشبه بلعبة أطفال مكسورة موشكة على الغرق.

وتصاعدت صيحات البحارة المفزوعين وهم يرون مؤخرة سفينتهم تتهشم وتتهاوى في قلب الماء. ولكن القبطان صرخ فيهم: تشبثوا بأماكنكم.. لم يعد امامنا سوى كيلومترين فقط للوصول الى اقرب جزر «الرأس الاخضر» و...

ولم يكمل الربان عبارته هذه المرة.. ففي اللحظة نفسها دوى انفجار هائل في قلب السفينة.. انفجار بدا وكأنه قد جاء من قلب الماء لا من سطحه.

وفعل الانفجار فعله في عنف هائل، فتناثرت أجزاء السفينة المحملة بالبضائع في الهواء قبل ان تتساقط في قلب الماء الثائر مشتعلة.. وأكبر جزء فيها لا يزيد حجمه عن قبضة اليد.

ولم يشعر القبطان بنفسه إلا وهو يطير في الهواء ثم يسقط في قلب المحيط الثائر بعنف بالغ. وكاد يفقد وعيه ولكنه بذل مجهوداً خارقاً لكي يظل متماسكاً ولا تبتلعه الأمواج.

كانت المفاجأة تكاد تشله.. وبدا عليه الجنون وهو لا يدري سر ذلك الانفجار الذي حدث لسفينته. كأنها

اصطدمت بلغم بحري أو انفجرت فيها قنبلة. ولكن حتى الألغام البحرية أو القنابل ما كان يمكنها أن تفعل ما حدث للسفينة الضخمة التي يزيد طولها عن المائة والعشرين من الأمتار.

وألقى القبطان نظرة ذاهلة حوله فلم يلمح أحداً من الأحياء.. وقد تناثرت جثث البحارة وضابط الملاحة فوق سطح الماء تلطمها الرياح والأمواج.

كان ما حدث أقرب إلى الجنون أو الكوابيس. ولكن لم يكن أمام القبطان غير تصرف وحيد هو النجاة بحياته. وكانت أقرب شواطئ الجزر إليه لا تبعد أكثر من ألفي متر.

وبكل ما تبقى للقبطان من قوة راح يصارع الموج والإعصار ويسبح تجاه أقرب تلك الجزر. كانت هي نفسها الجزيرة التي لجأ إليها ذات مرة منذ بضع سنوات واحتمى بها مع سفينته وبحارته من العاصفة العاتية.

ولكنه في تلك المرة كان يلجأ إليها في ظروف مختلفة:
وتساءل القبطان في ألم، ترى هل سيتذكره سكان الجزيرة البدائيين وزعيمهم الطيب القصير البدين. وهل سيوفرون له

الملجأ والدفء إلى أن يجد وسيلة ما تنقله إلى العالم الآخر . . عبر المحيط؟

وأثار اندهاش القبطان صيحة قصيرة حادة من يساره . . والتفت متعجباً فشاهد أحد الدلافين وهو يقفز أمامه، ويواصل صياحه كأنما يطلق تحذيراً ما للقبطان الذي واصل سباحته، وقد أدهشه أن يشاهد على مسافة عدداً آخر من الدلافين راحت تقفز فوق سطح الماء ثم تختفي بداخله كأنها تؤدي استعراضاً من نوع غريب!

وأخيراً لامست قدما القبطان الشاطئ الصخري الحاد لأقرب جزر «الرأس الأخضر». وكان الظلام مسيطراً على المكان، وقد هدأت سرعة الرياح وكف الموج عن ثورته بعد أن اتجه الإعصار جنوباً وابتعد عن المكان.

ووقف القبطان يلهث لا يصدق بنجاته. وراقب سطح البحر الذي تحول إلى مرآة هادئة مصقولة بعد أن ابتلع ضحاياه. وعادت الشمس تشرق من جديد وتبدد ظلمة المكان كأنما لم يحدث شيء ما منذ لحظات.

والتفت القبطان جهة الجزيرة وهو يمسح دمعة كادت تسقط

من عينيه . . ثم اتسعت عيناه ذهولاً من المفاجأة وتحجرت الدموع في عينيه .

فقد كان أول ما صدم عيني القبطان هو سور الأسلاك الشائكة الذي أحاط بالجزيرة من كل جوانبها على مسافة أمتار قليلة من الشاطئ، كأن الجزيرة تحولت إلى سجن وتلك الأسلاك الشائكة هي أسواره .

ولم تكن هناك أي طيور أو حيوانات في المكان . كأنها اختفت جميعاً أو أبيدت بطريقة ما . وهناك في قلب الجزيرة بدت أشجارها منزوعة من أماكنها ، وليس هناك من أثر لمخلوق من سكانها السابقين أم حتى أكواخهم المصنوعة من البوص وسعف النخيل الاستوائي التي كانت تنتشر في حماية الأشجار العملاقة التي تعميها هبوب الرياح وعنفها .

وتساءل القبطان في ذهول عما حدث لتلك الجزيرة وسكانها ، قبل أن يتنبه للكاميرا التلفزيونية الصغيرة فوق سور السلك الشائك ، وقد تركزت عليه كأنها عين طائر عجيب يتفحصه في ريبة وشك . ابتلع القبطان لعابه في ذهول وهو لا يصدق ما يراه أمامه . أولاً ذلك الانفجار المفاجئ في سفينته ثم الأسوار الشائكة والكاميرا التلفزيونية . وتساءل القبطان في

ذهول عن سر ما يحدث حوله، وهل ثمة أناس متمدنون يعيشون فوق الجزيرة الصغيرة؟

وأفاق القبطان على أصوات تقترب. وحيا الأمل في قلبه لأن يشاهد مخلوقاً عاقلاً وظهر على البعد عدد من الأشخاص في بذلات مطاطية سوداء يحملون في أيديهم مدافع رشاشة وأجهزة لاسلكي، ووجوههم صارمة قاسية التقاطيع كأنما نحتت من صخر. وهرع القبطان إلى القادمين مستغيثاً: لقد غرقت سفينتي ومات كل بحارتها ولم ينج أحد سواي.. أرجوكم ساعدوني.

وجاء رد أحد صاحبي البذلات السوداء في صوت بارد عميق بإنجليزية غريبة قائلاً: سوف نعاونك بالطبع.. فما جئنا إلا لهذا.

وصوب بندقيته نحو صدر القبطان المذهول.. وقبل أن ينطق القبطان بشيء مزق سكون الشاطئ صوت دفعة رصاصات متلاحقة.

ثم تهاوى القبطان فوق صخور الشاطئ غارقاً في دمائه. واستدار لابسو البذلات المطاطية السوداء ليعودوا من حيث أتوا.

سر جزيرة الرأس الأخضر؟

راقب ماجد تعبيرات وجه رئيسه في صمت ودون أن تختلج أي عضلة في وجهه. كانت الطريقة التي قص بها رئيسه السيد «م» قصة غرق السفينة «حتشبسوت» غامضة ومثيرة للدهشة. ولكن ماجد اعتاد في عمله أن يتقبل أعجب المفاجآت.. دون أن تنطق ملامحه بأي دهشة، فما عاد هناك شيء يدهشه في عمله بعد مغامرات لاقى فيها الموت والأهوال وصادف فيها أحداثاً أقرب إلى المستحيل.

واشعل «م» سيجاره الكبير وهو يواصل قائلاً: لقد غرقت بعض السفن خلال ذلك الإعصار الذي هب على المحيط الأطلنطي منذ بضعة أيام.. ولم ينج غير القليل من ركابها غير أن ما حدث للسفينة «حتشبسوت» يبدو مختلفاً بعض الشيء.

تساءل ماجد في هدوء: وفيما كان الاختلاف يا سيدي.. ولماذا تظن السلطات المصرية أن غرق «حتسشبسوت» كان بفعل فاعل وليس بسبب الإعصار؟

أجاب «م»: إن لذلك عدداً من الأسباب أولها أن هذه السفينة لم يبق لها أي أثر فوق سطح المحيط بعد غرقها. فكل ما عثرت عليه بعثات الإنقاذ في المكان هو بعض قطع الأخشاب الطافية فوق سطح الماء. ومساحة أكبر قطعة منها لا تزيد عن عشرين سنتيمتراً.. وهو ما يستحيل أن تفعله أي عاصفة أو إعصار بسفينة ضخمة مثل «حتشبسوت» مهما كان عنف هذه العواصف!

تساءل ماجد: لعل السفينة انفجرت فتهشمت بتلك الطريقة؟

زفر «م» نفساً عميقاً قبل أن يجيب: إن الانفجار الوحيد الذي يمكن أن يحدث للسفينة هو أن ينفجر خزان وقودها مثلاً بسبب إصابته بالبرق.. ولكن حتى لو كان هذا هو ما حدث ما كانت السفينة قد تهشمت إلى شظايا بتلك الطريقة.. ولكن ما حدث يبدو أنه نتيجة تفجير ذي قوة تدميرية

عالية. عالية جداً.. لدرجة أن احداً من ركاب «حتشبسوت» لم يبق حياً ليروي لنا حقيقة ما حدث.. باستثناء القبطان!

عقد ماجد حاجبيه وتساءل غير مصدق: هل عثرتم على القبطان حياً؟

أشاح «م» بيديه في ضيق قائلاً: لقد عثرنا عليه ميتاً على مسافة من الشاطئ.. ولكننا عثرنا على ما يزيد عن عشرين رصاصة وقد اخترقت جسده وحولته إلى مصفاة دموية!

تمتم ماجد غير مصدق: عشرين رصاصة؟

واصل «م» في هدوء: وهناك احتمالان لتفسير تلك الطريقة البشعة في قتل القبطان.. أولهما أنه حدث تمرد على السفينة وأن البحارة حاولوا الاستيلاء عليها وعندما قاومهم القبطان قتلوه بالرصاص وألقوه في المحيط قبل أن يهب الإعصار فيدمر السفينة بمن فيها.. أما الاحتمال الثاني..

أكمل ماجد قائلاً: أن يكون القبطان قد قُتل بعد انفجار السفينة وغرقها.. بمعنى أنه كان الوحيد الذي نجا من انفجار السفينة.

«م»: بالضبط. وهذا يعني أن القبطان لجأ إلى مكان ما بعد

انفجار السفينة وهناك تعرض للقتل. فليس من المعقول أن يتم إطلاق الرصاص عليه وهو يصارع الموج في المحيط.

وأشار «م» إلى إحدى الخرائط الكبيرة المعلقة إلى يساره والتي تبين تفاصيل المحيط الأطلنطي من خط «الإستواء» وحتى خط العرض عشرين شمالاً.. وقال: لقد كانت أقرب نقطة يمكن أن يلجأ إليها القبطان هي احدى «جزر الرأس الأخضر».. والمؤكد أنه لقى حتفه على شاطئها قبل أن يلقيه شخص ما في المحيط ثانية حيث تم العثور عليه على مسافة عدة كيلومترات من هذا الشاطئ بفعل الرياح والأمواج.

ماجد: إنها قصة تبدو غريبة يا سيدي.. فهذه الجزر مجهولة نائية فمن يمكنه أن يكون قد فعل ذلك بالقبطان وسفينته.. وما معنى ذلك؟

نهض «م» من فوق كرسيه الوثير وقد ضاقت عيناه عن آخرهما. وداعب قطاً من العاج الأسود داخل رف مكتبته، ثم التفت إلى ماجد وهو يقول: إنها ليست الحادثة الأولى.. بل الثالثة.. فهناك سفينتان أخريان قد حدث لهما نفس الشيء.. أولاهما أرجنتينية وكانت تحمل شحنة من الأغنام

متجهة إلى البحر الأبيض المتوسط عبر المحيط الأطلنطي. وغرقت أيضاً عندما دفعتها العواصف والرياح للجوء إلى تلك الجزر منذ شهر مضى. فكان أن لاقت تلك السفينة نفس المصير، وكل ما عثرت عليها بعثة الإنقاذ كان عبارة عن شظايا منها، وجثث العشرات من بحارتها وقد وضح أنهم ماتوا بسبب انفجار هائل حدث في السفينة. ومنذ أسبوع واحد فقط وقبل غرق السفينة «حتشبسوت» غرقت سفينة أمريكية كان يستقلها عدد من الأثرياء في رحلة حول العالم، ولم يعثر لهم أحد على أثر حتى الآن. وكانت آخر رسالة بعثوا بها هي أنهم قرروا تغيير خط سيرهم، فبدلاً من مواصلة الإبحار جنوباً في المحيط إلى جزر «فوكلاند» قرروا الرسو عند شواطئ جزر «الرأس الأخضر» لبعض الوقت. وبعدها لم يعثر أحد عليهم أو على سفينتهم. ولا يعرف إنسان عنهم شيئاً. فهم لم يرسلوا حتى ولا رسالة استغاثة، وكل ما عُثر عليه من سفينتهم هي شظايا مهشمة محترقة وعشرات الجثث المشوهة!

وصمت «م» لحظة وهو يحدق في ماجد، ثم أكمل ببطء: وإذا ما ربطنا تلك الحوادث الثلاث بعضها ببعض لخرجنا باستنتاج منطقي، هو أن من يقترب من تلك الجزر يكون

مصيره الموت والفناء، سواء كان سفينة أو بشر. وهناك ما يؤكد أن تلك الجزر أو بعضها يحدث به شيء مريب، ولدينا الدليل على ذلك.

وحدق «م» في ماجد بعد أن أنهى عبارته، كأنه يحاول تبين أثر ما قاله في عميله المفضل، فواجهه ماجد بملامح ثابتة لا تهزها أعتى الأحداث، وعينين واسعتين تنتظران الخوض في المجهول القادم.

وأخرج «م» من درج مكتبه مجموعة من الصور مدها صامتاً إلى ماجد الذي تفحصها باهتمام.. كانت كلها تبيّن بعض الأسوار من الأسلاك الشائكة تحيط شاطئاً صخرياً قاحلاً.. وعدداً من الأبنية الصغيرة ظللت بألوان وأشكال مموهة لأشجار ونباتات تشبه البيئة حولها لتخفي معالمها.

تساءل ماجد باهتمام: هل هذه الصور التقطت من فوق جزر «الرأس الأخضر»؟

«م»: بل من إحداها فقط.. وهي أقرب هذه الجزر للمحيط.. ومن الواضح أن هناك بعض الأشخاص المريبين قد صاروا يعيشون فوق تلك الجزيرة ويمارسون عملاً نجهله وتجهله

كافة أجهزة المخابرات في العالم. وهو عمل خطر دون شك لأن أصحابه لا يسمحون لأحد بالاقتراب من جزيرتهم أو الاطلاع على أسرارهم. حتى لو أدى ذلك إلى نسف أي سفينة تقترب من شواطئ الجزيرة، ومهما كان عدد الضحايا. فقد أثبتت الحوادث أن من يختفي داخل هذه الجزيرة قد انتزع الرحمة من قلبه تماماً.

وعاد «م» إلى مقعده، وأضاف في صوت هادئ وهو يستعيد الصور من ماجد: لقد التقط هذه الصور أحد الأقمار الصناعية التي تملكها دولة كبرى، وقد تمكنّا من الحصول عليها بطريقتنا الخاصة. ونحن هنا في مصر ندرك أن مغزى تلك الصور قد يكون خطيراً. وبرغم أننا نجهل الخطر الكامن خلفها والذي ربما لا تتعرض له بلادنا بطريقة مباشرة، إلا أننا لا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي لما يحدث خاصة وقد نسفت إحدى سفننا، وهذا يعطينا الحق في التدخل، واكتشاف ما يدور فوق تلك الجزيرة، فربما يكون هناك خطر في المستقبل يستهدفنا نحن أو إحدى الدول العربية الشقيقة. ونحن بالطبع لن ننتظر حتى يتحرك الآخرون نيابة عنا لحماية أمننا!

غرق «ماجد» في أفكاره لحظة ثم التفت إلى رئيسه متسائلاً: هل تفحصتم الرصاصات التي عثرتم عليها في جثة القبطان المصري القتيل؟

اكتسى وجه «م» بابتسامة لأول مرة ذلك الصباح وقال: لقد توقعت مثل هذا السؤال منك يا ماجد وإجابته سوف تدهشك بكل تأكيد. فإن نوعية الرصاصات التي عثرنا عليها في جثة القبطان هي نوعية متقدمة جداً من رصاص «دم دم» المحّرم دولياً. . والتي تنفجر في جسم من تصيبه فتدمر أجهزته تماماً. ورصاصة واحدة منها كفيلة بقتل من تصيبه وتسبب له نزيفاً داخلياً لا شفاء منه. ليس هذا فقط. بل إن تلك الرصاصات تحتوي على جراثيم وسموم بحيث إنها بعد أن تنفجر داخل جسم أي إنسان ولو حتى في ذراعه، فإنها تقوم بشل خلاياه وتسميم دمه فتقتله خلال خمس ثوان على الأكثر.

وصمت «م» وهو يراقب تأثير ما قاله لماجد. . ثم أكمل في صوت عميق: لقد ثبت لدينا أن هذا الرصاص هو أحدث ما أنتجته المخابرات الروسية. . وإن كانت لم تصرح باستعماله

أبداً ولا حتى لرجالها لخطورته وعدم أخلاقية استعماله!

هز ماجد رأسه موافقاً وقال: هذا ما توقعته.. أن يكون خلف تلك العملية بشكل ما جهاز مخابرات عالمي على أكبر قدر من القوة!

«م»: ولكن في نفس الوقت ثبت بطريقة لا تقبل الشك أن المخابرات الروسية ليس لها علاقة بهذه العملية على الإطلاق ولا تعرف عنها شيئاً.. والمؤكد أن ذلك الرصاص تمت سرقته من مخازن سلاح المخابرات الروسية بطريقة ما، برغم صعوبة ذلك والتي تصل إلى حد الاستحالة، لأن هذه المخازن مراقبة بطرق إلكترونية معقدة ويستحيل أن يتمكن أي إنسان من اختراقها مهما كان. ولهذا فنحن لا نجد تفسيراً لما حدث أبداً.. وسيبقى التفسير في انتظار وصولك إلى تلك الجزيرة.. واكتشاف سرها!

ارتسمت ابتسامة على وجه «ماجد شريف» وهو يقول: هذا هو نوع المهمات الذي أفضله.. فإنني دائماً مغرم باكتشاف المجهول!

وأضاف بابتسامة أوسع: المجهول العامر بالخطر!

رفع «م» سبابته صوب ماجد قائلاً في صوت قلق : حاذر يا ماجد. . فإن المهمة قد تكون أخطر مما تتصور هذه المرة. . فإن أشخاصاً على استعداد لنسف أي عدد من السفن وقتل مئات الأبرياء، ولن تأخذهم أي شفقة بمتطفل يحاول اكتشاف أسرارهم. . إنها مهمة أكثر خطورة مما تظن.

نقر ماجد على طرف مكتب رئيسه وهو يقول : وأنا رجل المهام الصعبة. . ولن تكون مهمة التخلص مني سهلة بأي حال من الأحوال لمن يحاول ذلك. . وهو من سوء حظ الأعداء الذين سأصادفهم فوق تلك الجزيرة الغامضة!

ونهض مكملاً في تساؤل : متى سأسافر يا سيدي إلى المحيط؟

أطفأ «م» سيجاره الضخم قائلاً : ليس قبل أن تمر على قسم الأسلحة السرية. . فسوف يمدونك ببعض الأسلحة الصغيرة الدقيقة التي ستحتاج إليها في مهمتك القادمة. فالذي لا شك فيه أنك ستواجه عشرات المفاجآت فوق تلك الجزيرة، وعليك أن تكون أيضاً حافلاً بالمفاجآت.

أجاب ماجد دون أن يختلج وجهه بأي تعبير : هذا رائع يا

سيدي . . وإنني أفضل هذا النوع من المهام التي لا يمكن التكهن بما ستنتهي إليه، فإنني أحب أن يطلقوا علي أيضاً لقب «رجل المفاجآت»! وصافح ماجد رئيسه في قوة . . ثم انطلق مغادراً الحجرة وقد بدأت كل خلية في جسده تنبض بالمغامرة وتسعى إلى اقتحام الخطر .

وغمغم «م» لنفسه في بعض القلق وهو يراقب ماجد الذي اختفى من المكان : إنه يبدو وكأنه ذاهب في نزهة وليس لاقتحام خطر رهيب وقتال بعض الوحوش البشرية . . يا إلهي . . أي رجل يكون هذا الشاب؟

وتعلقت عينا «م» بالقط العاجي الأسود داخل رف مكتبته، والذي بدا في تلك اللحظة وكأنه يمثل نذير شؤم غامض!

* * *

رقصة الدرافيل

فـار سطح الماء بالرياح الشـديدة العـاصـفة ، وتلاطمت الأمواج العالية بعضها ببعض . . وقد انفتحت السماء بمطر كالسيل .

ومن قلب الماء المتلاطم برزت قصبة معدنية طويلة تنتهي بانبعاج عمودي مثبت في مقدمته مرآة صغيرة مقربة . وقد يممت وجهتها نحو الجزيرة البعيدة . أقرب جزر «الرأس الأخضر» .

وأطلت عين من أسـفل تتـفـحص الجـزيرة من خـلال «المثفاق»[1] المقرَّب . وبعد لحظات غاصت القصبة المعدنية في قلب الماء قبل أن تختفي داخل الـهيكل المعدني الضخم تحت سطح الماء . . هيكل الغواصة المصرية «أكتوبر» !

(١) المثفاق هو جهاز تستخدمه الغواصات للرؤية خارج الماء أثناء الغوص .

ومن الداخل أزاح ماجد صبرى عينيه عن عدسة «المئفاق» قائلاً لقائد الغواصة العقيد صلاح : إن الطقس في الخارج عنيف والأمواج متلاطمة وعالية جداً .

أجاب العقيد صلاح بابتسامة دافئة : لا بأس . . يمكننا الانتظار في مكاننا ولو لعدة أيام حتى يعتدل الطقس .

ماجد : بالعكس . . إن هذا الطقس يناسبني تماماً . . فالبداية الهادئة لأي عملية لا تناسبني وتبعث بالملل في أوصالي ، وإلا فلماذا أطلقوا علي لقب رجل المهام الصعبة؟

رمقه العقيد صلاح بدهشة وهتف معترضاً : ولكن . .

ولم يكمل عبارته . . لأن «ماجد صبري» كان قد غادر حجرة القيادة في نفس اللحظة!

كانت الغواصة تابعة لجهاز المخابرات المصري . . وكانت التعليمات لقائدها تفيد بتنفيذ أوامر ماجد مهما كانت غريبة أو شاذة . . ولطالما سمع العقيد صلاح فخري الكثير عن مهارة «ماجد شريف» وبراعته ، وقد كانت تلك هي المرة الأولى التي يعمل فيها جنباً إلى جنب بجواره .

وعاد ماجد إلى حجرة القيادة بعد دقائق وقد ارتدى بذلة غوص جلدية، وأشار إلى العقيد صلاح قائلاً : خلال دقائق قليلة سأكون في قلب البحر. . وعليكم الانتظار في هذا المكان ذاته مدة أربع وعشرين ساعة. . فإن لم أعد خلالها فعليكم العودة إلى «مصر». . ونسيان المسألة كلها وعدم إضاعة الوقت في البحث عني فوق الجزيرة!

تساءل العقيد صلاح بقلق : وهل سنتركك فوق الجزيرة إذا لم تعد خلال ٢٤ ساعة؟

اجابه ماجد في هدوء :

ما دمت لم أتمكن من العودة قبل ٢٤ ساعة، فلن يتمكن إنسان ما من إعادتي حياً أو ميتاً بعد من ذلك!

وداعب العقيد قائلاً : فأنت تعرف أن الموتى لا يعودون للحياة مرة ثانية يا عزيزي. . حتى لو انتظرتهم غواصات نووية على الشاطئ!

العقيد صلاح : ولكن باستطاعتك إذا ما وقعت في خطر أن تطلق إشارة ضوئية بمسدس خاص فيهرع إليك رجالي للتدخل والإنقاذ، فإن لدينا في الغواصة خمسين ضابطاً من أكفأ العاملين في المخابرات و. .

قاطعه ماجد قائلاً : يا عزيزي . . إن مجرد حمل مثل هذا المسدس واكتشافه فوق الجزيرة سيؤكد لمن فوقها شخصيتي وحقيقة ما أنوي عمله فيسارعون بإطلاق رصاصهم علي . . قبل أن يفكروا حتى في دعوتي للعشاء على مائدتهم!

وأكمل باسماً : وأنت طبعاً لا تريد أن تفسد عشائي الليلة!

وألقى نظرة إلى ساعته . . كانت تقترب من منتصف الليل . . ساعة الصفر .

وراقب قبطان الغواصة ماجد وهو يفتح باباً جانبياً في حجرة القيادة أفضى به إلى ممر طويل انتهى بحجرة ضيقة في ركن الغواصة ، وبداخلها استقرت غواصة صغيرة لا يزيد طولها عن مترين ولا يزيد عرضها عن متر واحد ، وتتسع لشخصين . . ولها عجلة قيادة في مقدمتها كالسيارة .

وجلس ماجد إلى عجلة القيادة داخل الغواصة ورفع يده للعقيد صلاح للتحية ، فبادله القبطان التحية ، ثم أشار إلى مساعده مقطباً بإشارة خاصة ، فضغط المساعد على زر إلى الحائط بجواره . وفي الحال انغلق باب الحجرة الضيقة وغمرها الماء ، قبل أن ينفتح جدار في الغواصة انفلتت منه الغواصة

الصغيرة براكبها إلى قلب المحيط الواسع .

وأضاء ماجد كشافات الغواصة الأمامية فبدا قلب المحيط أمامه مضيئاً لامعاً . . وقد ظهر عدد من الأسماك والمخلوقات البحرية والسلاحف الضخمة تسبح في هدوء، وإن كان الضوء المفاجئ قد أزعجها فأدارت رؤوسها هاربة بعيداً .

واقترب ماجد بغواصته الصغيرة من قاع الجزيرة بأسفل . كانت جزيرة بركانية صغيرة تمتد بأسفل إلى قاع المحيط لآلاف الأمتار ولاتبرز منها غير قيمتها الضئيلة التي لا ترتفع عن سطح الماء غير أمتار قليلة، وقد نبتت الأعشاب البحرية والمرجانيات على جدارها وشقوقها الغارقة في الماء .

ودار ماجد حول الجزيرة . لم يكن هناك ما يريب غير أنه لاحظ أن الماء يفور في أحد الأركان أمام جدار الجزيرة الغارق في الماء، وينبعث منه بخار حارق شديد الحرارة لدرجة أن الماء يغلي أمامه عند ملامسته .

واختار ماجد تجويفاً داخل الصخور تحت الماء أخفى بداخله الغواصة، ثم غادرها سابحاً لأعلى في هدوء . . وراح يدور تحت الماء باحثاً عن مكان آمن للصعود . . وأحس ماجد بشيء



يلمس ساقيه من الخلف فاستدار بسرعة شاهراً سكيناً صغيرة حادة، وهو يوجه بطاريته اليدوية الصغيرة نحو ذلك الشيء الذي لمسه من الخلف.

وابتسم ماجد برغمه عندما شاهد أحد الدلافين ينظر إليه في فضول.. وهو يقوم بضرب الماء بحركات بهلوانية عجيبة، فابتسم ماجد له قائلاً: للأسف يا عزيزي فبرغم براعة ما تقدمه من عرض مدهش فليس لديّ وقت للتمتع به، فإن لديّ ما هو أهم على اليابسة فوق شاطئ الجزيرة.

وقبل أن يستدير ماجد غائصاً بعيداً جذبه الدرفيل المشاكس بعضة صغيرة مؤلمة في قدمه، فهتف ماجد: حسناً.. يبدو أنك لا تقل عدوانية ومشاكسة عن سكان تلك الجزيرة.. ولعل من الواجب عقابك سريعاً حتى لا تفسد أخلاقك أكثر من ذلك، فتصبح أفضل سلوكاً مع الغرباء.

وانطلق ماجد خلف الدرفيل الذي توقف فجأة وهو يومئ برأسه جهة بعض الأعشاب البحرية النابتة حول جدار الجزيرة وقد بدا في عينيه حزن غامض، فصوب ماجد كشافه المائي نحو ذلك الركن فلمح درفيلاً آخر كان من الواضح أنها أنثى

الأول، وقد انحشرت وسط بعض الأعشاب الطويلة التي تشابكت بعضها حول بعض فصارت مثل شبكة أعاقت أنثى الدرفيل عن الحركة. فأشار ماجد إلى الدرفيل الأول قائلاً بابتسامة: إنني اعتذر لك.. فقد أثبتّ أن أخلاقك فوق مستوى الشبهات وأنك أكثر وفاء من بعض البشر!

وبسكينه قطع الأعشاب التي تقيد أنثى الدرفيل، التي أطلقت صيحة مبتهجة واندفع إليها زوجها وراح يدور حولها مبتهجاً.. ثم انطلق الاثنان يدوران حول ماجد بطريقة بهلوانية كأنما يشكرانه بطريقتهما الخاصة، قبل أن يختفيا في قلب الماء المظلم.

أخرج ماجد رأسه من قلب الماء فطالعه شاطئ الجزيرة على بعد أمتار قليلة، فتحرك في هدوء تجاهه وقد أخفاه الظلام عن العيون. وقد بدا الشاطئ قاحلاً لا حياة فيه.

تلفت ماجد حوله في حذر فلم يلمح أحداً.. وطالعته الأسلاك الشائكة أمامه تمتد حول الجزيرة إلى نهايتها وقد أخفى الظلام ما وراءها.

وهبت ريح عنيفة قارسة البرودة، فشعر ماجد أنه يكاد

يتجمد. . وخلال دقائق كانت الأمطار قد تحولت إلى سيل شديد مصحوب بكتل صغيرة من الثلج!

وكان على ماجد أن يبحث عن ملجأ يحتمي به من الأمطار. . واقترب من سور الأسلاك الشائكة وألقى ببطاريته اليدوية نحو السور، فاندفع شرر صغير عندما لامست البطارية اليدوية السور وسقطت تحت ساقي ماجد وقد تحولت إلى اللون الأسود.

تأمل ماجد البطارية المحترقة ولم يعد لديه شك في أن السور يمر عبره تيار كهربائي عالي الجهد، بحيث يصعق فيلاً لو حاول لمسه.

وفجأة سمع ماجد أصواتاً متلصصة خلفه، وفي الحال ألقى بنفسه خلف أقرب الصخور إليه شاهراً سكينه وقد توقع سيلاً من طلقات الرصاص القاتلة نحوه. .

ولكن المتلصص كان هما الدرفيلان اللذان أنقذ ماجد أحدهما، وقد أطلا من قلب الماء مصدَرْين ذلك الصوت عندما احتك جلدهما بالصخور، ووقفا مكانهما يحدقان في ماجد بعيون واسعة قلقة كأنهما ينقلان إليه رسالة. وراقبهما

ماجد باسماً وهو يقول : إنني لا أدري يا صديقيَّ ما الذي تريدان إخباري أو تحذيري منه هذه المرة. . ولكن مهما كان فسوف أكتشفه وحدي فلا داعي لقلقكما!

وأطلق الدرفيلان صياحاً خافتاً وعاودا الغوص في قلب الماء. . كأنما أديّا ما عليهما من واجب!

وكان على ماجد أن يتحرك سريعاً. . وخاصة أن الجو العاصف يتيح له أفضل فرصة لدخول الجزيرة دون أن يحس به إنسان.

وراقب ماجد حرس الجزيرة، فشاهد بعضهم على البعد وقد بدوا كالأشباح في بذاتهم المطاطية السوداء وهم يحاولون الاحتماء من المطر تحت بعض الأشجار القليلة المتناثرة على الشاطئ.

وفكر ماجد. .

كان عليه اختراق السور المكهرب أولاً. . وقد كان مستعداً لذلك فقد توقع كهربة السور عندما شاهد صوره مع السيد «م» لأول مرة فأستعد بسلاح خاص لاختراقه حصل عليه من قسم الأسلحة السرية.

ولكن وقبل أن يفعل ماجد شيئاً سمع صوتاً غريباً . . صوتاً جعله يجمد في مكانه من المفاجآة . . كان صوت بكاء خافت . . صوت بكاء رقيق كأنما صاحبه يحاول أن يبكي في صوت دون أن يفضح نفسه.

ووقف ماجد لحظة وقد أخذته المفاجآة غير المتوقعة.

كان الصوت يأتي من داخل فجوة داخل صخور الشاطئ . . فاقترب منها في خفة ثم أطل في حذر وقد تأهبت عضلاته لأي مفاجآة ويده قابضة على سلاحه الوحيد . . مسدسه الكهربائي الصغير!

ولكن المفاجآة الحقيقية كانت في ذلك المخلوق المختبئ داخل فجوة الصخور والذي استطاع ماجد تمييز ملامحه برغم الظلام المسيطر على المكان.

كانت فتاة في حوالي الثالثة والعشرين من عمرها قد انسدل شعرها الذهبي الغزير حول وجهها في اضطراب، وقد ارتدت ملابس ممزقة وجلست القرفصاء حول نفسها في ذعر بالغ وهي ترتجف لشدة البرد.

وكانت جميلة رائعة الحسن . . بل لعلها أجمل فتاة شاهدها في حياته!

وقد كان ماجد معتاداً على المفاجآت . . وكانت أقصاها غرابة وشذوذاً لا تثير فيه أدنى قدر من الانفعال .

ولكن وجود تلك الحسناء الفاتنة في ذلك المكان الرهيب . . كانت آخر مفاجآة يتوقعها «رجل المهام الصعبة» ، بأي حال من الأحوال!

* * *

الوقوع في الأسر

ما ان شاهدت الحسناء الفاتنة ماجد حتى شهقت من الذعر والمفاجآة، وانتفض جسدها في رعب وقد بدا عليها كأنها موشكة على الموت. وقد وضح أنها ظنته أحد الحراس الذين تعمر بهم الجزيرة ويبحثون عن أي صيد لاقتناصه برصاصهم الدموي.

وهمس ماجد للفتاة: لا تخشي شيئاً.. إنني لست عدواً.

ولكن الفتاة ظلت تحملق فيه مرتعدة وعيناها الواسعتان الزرقاوان مفتوحتان عن آخرهما لشدة المفاجآة، فاقترب منها ماجد باسماً وهو يقول لها: لقد كنت ماراً قريباً من هنا، ولأنني شخص فضولي بطبعي لذلك فعندما سمعت صوت بكائك خالجني شك في أن شخصاً ما بحاجة إلى المساعدة.. ويبدو أنني كنت على حق.

وبسط يديه أمامه متودداً وهو يكمل : فأي مساعدة تطلبينها يا سيدتي الفاتنة؟

حملقت الحسناء في ماجد بدهشة بالغة ثم قالت بالإنجليزية بلهجة أمريكية : من أنت . . وما الذي تفعله في هذا المكان؟

أجابها ماجد مقطباً : إنه سؤال وجيه بحق . . وكل ما يمكنني قوله أنني شخص مغرم بأن أكون في الأماكن التي لا يتوقع أحد وجودي فيها!

وزم حاجبيه وهو يضيف : وأنا بدوري أطرح عليك نفس السؤال . . فأنت على أي حال لا يمكنك أن تكوني من سكان بلد ما في الشاطئ المقابل . . فإن أقرب شاطئ لأمريكا الجنوبية يقع على مسافة آلاف الكيلومترات ، ولا يمكنك أن تكوني قد قطعتها سباحة من الصباح من أجل التمتع بجمال هذه الجزيرة النائية ، ثم العودة في المساء!

انفجرت الفتاة في نحيب خافت وهي تقول : إنني أدعى «كارمن» ووالدي من رجال الأعمال الأثرياء في أمريكا ، وقد كنت في رحلة بحرية مع أسرتي فوق تلك السفينة «أمريكانا» عندما انفجرت فجأة وتحولت إلى شظايا ونحن نقترب من شاطئ تلك الجزيرة .

قطب ماجد حاجبيه وهو يراقب الفتاة الرائعة الجمال قائلاً: إذن فأنت من ركاب تلك السفينة التي كانت تحمل بعض أثرياء أمريكا والتي انفجرت قرب هذا الشاطئ؟

أومأت «كارمن» برأسها وهي تقول من وسط دموعها: لقد تمكنت من السباحة حتى هذا الشاطئ في الليل.. وشاهدت أحد الناجين من أصدقاء والدي وهو يصعد شاطئ الجزيرة، بعد أن تمكن من الوصول إليه سباحة، ولكن وقبل أن أتجه إليه طلباً للمساعدة رأيت عدداً من الرجال في بذات سوداء اتجهوا نحوه وأطلقوا عليه الرصاص ثم ألقوا بجثته في الماء ثانية، فارتعبت واختفيت في ذلك التجويف الصخري الذي اخفاني عن العيون.

تساءل ماجد في عدم تصديق: هل تعنين أنك بقيت أكثر من عشرة أيام في هذا المكان دون أن يقتلك الجوع والبرد القارس؟

كارمن: لقد كنت أخرج ليلاً أبحث عن شيء آكله وأسرع بالعودة لمخبئي قبل أن يشاهدني أحد المسلحين القتلة.. واكون سعيدة الحظ إذا عثرت على بعض الأصداف أو الأسماك للأكل!

وارتجفت الفتاة وهي تكمل : إن مذاقها مريع وهي نيئة . . ولكني كنت مضطرة لذلك حتى لا أموت جوعاً!

هز ماجد رأسه قائلاً : معك حق . . ولكن مذاق الأسماك النيئة من مذاق «سحالى» صحراء كاليفورنيا أو ثعابين الغابات الأندونيسية التي اضطررت لالتهامها حية ذات يوم بسبب الجوع!

حملقت الفتاة في ماجد بعينين ملأهما الذعر والخوف، فقال لها مطمئناً: لا تخشي شيئاً فإنني لست أحد أولئك القتلة فوق الجزيرة، وإن كان هذا يعني أنني أقل منهم عنفاً وصلابة . . فقد أخطأ شخص ما بإطلاق قنابله أو قذائفه على تلك السفن الآمنة بركابها الأبرياء . . ولهذا يجب أن يُعاقب هذا الشخص، ولعل هذا يفسر لك سر وجودي في هذا المكان!

تساءلت الفتاة في ذهول : هل تعني أنك جئت وحدك لتقاتل كل أولئك الرجال ورئيسهم الدموي، ولكن عددهم يزيد عن المائة فكيف ستواجههم وحدك؟

وابتلعت لعابها وهي تضيف في توتر : وأي سر تحتويه تلك

الجزيرة، ولماذا يعتبر أصحابها أي شيء يقترب منها خطراً يتعين محوه من الوجود؟

ماجد : لو كان رئيسي يمتلك إجابة على هذا السؤال لما غامر بإرسالي إلى هذه الجزيرة، وخاصة أن القط العاجي الأسود في مكتبته كانت تطل من عينيه نظرة غير مطمئنة!

حملقت كارمن في ماجد بدهشة دون أن تفهم شيئاً مما يقوله، ونهض هامساً لها : هيا بنا . . فكل دقيقة تمر لها ثمنها .

كارمن : وإلى أين ستذهب؟

ماجد : إلى قلب الجزيرة بالطبع . . حتى لو كان سكانها ممن يستقبلون الغرباء بتحية فريدة وهي إطلاق الرصاص عليهم . . فنحن مضطرون للتغاضي عن ذلك مؤقتاً!

هتفت كارمن في ذعر : ولكن . .

أشار لها ماجد أن تصمت وأمسك بيدها لطمأنتها . . كانت يدها باردة كالصقيع ولكن نظرة ماجد المطمئنة أعادت الدفء والثقة إلى الحسناء الأمريكية، وهمس ماجد بها : ثقي بي!

وبرغم أن «كـارمن» قـد خف ذعـرها وأصـابهـا بعض الاطمئنان، إلا أن ماجد فكر في قلق بأن وجود تلك الحسناء فوق شاطئ الجزيرة وعثوره عليها مصادفة يلقي عليه مسؤولية مضاعفة في حمايتها والحفاظ على حياتها. وأدرك ماجد أن ذلك يمثل نقطة ضعف في مهمته، وتعطيلاً لها بكل تأكيد. ولكن كان من المستحيل أن يترك فتاة وحيدة بائسة معرضة للموت في كل لحظة.

ولم يكن أمام ماجد غير المخاطرة باصطحابها معه إلى قلب الجزيرة. فاقترب من سور الأسلاك الشائكة المكهرب وهو يتأمل المكان حوله في حذر. ولمحت عيناه الكاميرا التليفزيونية بأعلى السور فسار محاذراً في خط متعرج حتى لا يقع مع «كارمن» في نطاق الرؤية بالنسبة لها.

ثم أخرج من جيب سترته علبة صغيرة التقط منها قنينة أفرغ ما فيها فوق بعض الأسلاك الشائكة دون أن يمسها، محتفظاً بقليل من السائل في القنينة، فسألته «كارمن» في دهشة: ما الذي تفعله؟

أجابها: سترين حالاً.

وبعد لحظات راح السلك الشائك يتآكل في مساحة كبيرة كأنما سرى من السائل الذي انسكب فوقه نار سحرية تأكل تلك الأسلاك وتذيبها، حتى ظهرت فجوة في قلب الأسلاك الشائكة تسمح بمرورهما. فأشار ماجد للحسناء الأمريكية أن تتبعه محاذرة أن تمس بقية الأسلاك.

وعبر الاثنان إلى الناحية الأخرى.. وما كادا يخطوان بضع خطوات حتى صاح ماجد في «كارمن»: حاذري.. توقفي مكانك ولا تتحركي.

فارتعدت الفتاة وبقيت مكانها كالمشلولة.. ورغماً عنها هبطت عيناها إلى حيث تقف فارتجفت من الفزع عندما طالعت ما كانت تطؤه بقدميها.

كانت تقف فوق لغم أرضي أُخفي بمهارة.. وكان مجرد إزاحة قدمها عن اللغم كفيلاً بنسفها، وقد كان واضح أن المكان عامر بالألغام التي تمثل مصيدة لمن ينجح في اختراق الأسلاك المكهربة!

واقترب ماجد محاذراً من «كارمن» وهمس لها: لا تخشي شيئاً.. والآن..

وفي لحظة خاطفة قفز نحو الحسناء الأمريكية ودفعها بعيداً، وسقط الاثنان على الأرض في نفس اللحظة التي انفجر فيها اللغم في صوت مدو، صانعاً حفرة في الأرض بلغ قطرها متراً كاملاً!

وهمس ماجد لكارمن: سوف يجتذب صوت الانفجار شياطين الجحيم.. فلنسرع بالاختفاء عنها.

انطلق الاثنان نحو بضعة أشجار قريبة يختفيان وراءها.. وما كادا يفعلان ذلك حتى اندفع إلى المكان ما يزيد عن عشرة مسلحين في بذاتهم المطاطية السوداء وهو يطوقون المكان بمدافعهم الرشاشة.

وراح الحراس يتحدثون بلغة غريبة وهم يتصايحون.. باحثين في دهشة عمن وطأ اللغم دون ان ينسفه الانفجار ويترك بقاياه في المكان.. ولم يكن من الصعب على ماجد تمييز تلك اللغة التي يتحدث بها الحراس برغم أنه لا يجيد منها غير بضع كلمات قليلة تعلمها في إحدى مهامه[1].

كانت هي اللغة الروسية!

واستدار ماجد هامساً لكارمن: لقد بدأت أُولى طلاسم لذلك اللغز تتضح لعقلي.

---

(١) راجع المغامرة رقم «٣»، «٤».

ولكنه وفي نفس اللحظة لمح الكاميرا التليفزيونية السرية المثبتة فوق قمة الشجرة التي كان يحتمي أسفلها. وبأقصى سرعة وفي اللحظة المناسبة دفع ماجد بكارمن بعيداً، فطاشت الرصاصات التي انطلقت من فوهة البندقية السرية المثبتة على يسار الكاميرا الخفية، واستقرت الرصاصات في بدن الشجرة العريض الذي كان يتسرب من باطن الأرض بجواره إلى سطح الجزيرة وظهر خيط من سائل دموي اللون كان يبدو كأنه يفور ويغلي. واجتذب صوت طلقات الرصاص ذئاب الجزيرة المسلحين، فاندفعوا نحو ماجد «و كارمن» شاهرين بنادقهم الرشاشة، وهم يطلقونها بغزارة كما لو كانوا أسماك قرش وحشية تجتذبها رائحة الدماء وتصيبها بالجنون.

صرخت «كارمن» في فزع: إنهم سوف يقتلوننا.

ولكن ماجد التقط شيئاً من جيب سترته ألقاه على الأرض أمام مهاجميه، وفي الحال تصاعد دخان كثيف كالضباب حجب الرؤية في المكان. . وأعاق تقدم المهاجمين الذي راحوا يسعلون بشدة من الدخان الخانق وهم لا يكادون يرون أمامهم.

وجـذب مـاجـد «كـارمن» بشـدة واندفع بهـا الى قلب الجزيرة . . ولكنه فوجئ بعـدد من المسلحين وقـد برزوا من الجانب الآخر يقطعون الطريق عليـه ، فدفع بكارمن إلى شجرة قريبة تحتمي خلفها ، وتحاشى طلقات الرصاص الموجهة إليه بأن قفز في الهواء مصوباً ضربة إلى أقرب مهاجميه أطاحت به في الهواء . . وألقى بنفسه على الأرض ليتحاشى طلقات الرصاص التي انطلقت نحوه ، والتقط في حركته السريعة بندقية الحارس الصريع وأطلق منهـا دفعة رصاص نحو أقرب مهاجميـه فسقط اثنان منهم يتخبطان على الأرض ، ثم سكنت حركـاتهمـا في الحال .

وقبل أن يستدير ماجد نحو بقيـة الحراس ، أوقفـه الصوت الآمر الذي جاء من مكـان ما حوله وهو يقول بإنجليـزية غريبة : توقف مكانك واستسلم وإلا قتلنا الفتاة .

استدار ماجد تجاه «كـارمن» فشاهد عدداً من المسلحين وقد أمسكوا بها وصوبوا مدافعهـم الرشاشـة إلى رأسهـا انتظاراً لما سيفـعله . . والحسناء الأمريكيـة ترتعب في بكاء حـار . بقي ماجـد مكانه لحظة . . كـانت أقل حركـة منـه قد تفيـد في هربه



وخروجه من ذلك المأزق، كما كان قادراً على حماية نفسه جيداً وقتال العشرات من أولئك المجرمين.. ولكن كانت أدنى مقاومة منه كفيلة في نفس الوقت بنزع رأس «كارمن» من فوق جسدها بعد أن تحولها طلقات الرصاص إلى غربال مثقوب!

وعض ماجد على شفتيه في قسوة وغضب.. كان في موقف لا خيار فيه.. موقف تأبى أخلاقه غير تصرف وحيد لإنقاذ تلك الفتاة التي بعث بها القدر في مهمته لتكون نقطة ضعفه الوحيدة.

وألقى ماجد بندقيته.. وتراخت يداه في استسلام مؤلم!

* * *

إيقان السفاح

قاد الحراس المسلحون ماجد إلى بناء قريب لا يرتفع أكثر من طابقين وسط الأشجار الكثيفة العالية التي أحاطت به فأخفته عن العيون . . أما داخل المبنى فكان مؤثثاً بشكل فاخر كما لو كان جناحاً في فندق عالمي .

وانتهى الحراس بهما إلى حجرة واسعة كانت أشبه بقاعة صغيرة عامرة بالرياش الأنيق . . فالتفت ماجد إلى « كارمن » قائلاً : إن صاحب هذا المكان رجل يعرف كيف يُمتِّع نفسه حقاً في تلك الجزيرة النائية .

وأجابه صوت بارد قائلاً من باب انفتح في ركن القاعة : هذا صحيح تماماً ، فإنني رجل أعرف كيف اتمتع بحياتي جيداً!

وخطا صاحب الصوت البارد إلى قلب القاعة. . فرمقه ماجد في دهشة حاول إخفاءها وهو يراقب ملامح ذلك الشخص الذي تبدى أمامه بوجهه الأحمر وشعره البني القصير ونظارته الطبية التي عكست خلف زجاجها نظرات قوية حادة صارمة.

وهتف ماجد غير مصدق: «إيڤان فلاديمير»؟

تقدم «إيڤان» من ماجد قائلاً: أنا أيضاً اندهشت عندما رأيت وجهك من خلال كاميراتي التليفزيونية الخفية فوق الجزيرة. . يا رقم (٧٠٠). . وكنت أتوقع أن ترسل لي المخابرات المصرية بأفضل رجل من رجالها. . بل أفضل رجل مخابرات في الشرق بأكمله. . فأنت رجل معروف لنا تماماً يا رقم (٧٠٠)، وطريقتك في الهرب من بلادنا في مهمتك[١] السابقة صارت تدرس في معاهد المخابرات التابعة لنا باعتبارها طريقة فريدة مبتكرة لم يسبقك إليها إنسان في نفس هذا المجال.

ضاقت عينا ماجد وهو يقول: أنا أيضاً توقعت شيئاً من هذا القبيل. . أن أجد أحد رجال المخابرات الروسية الهاربين. .

---

(١) راجع المغامرة الرابعة «الهروب المثير».

وقد اختار له جزيرة منعزلة يمارس فيها سطوته وأعماله السابقة القذرة . . ولكنني لم أتوقع أن أجد «إيڤان فلاديمير» . . الرجل الثاني في المخابرات الروسية والذي كان مرشحاً لأن يصبح رئيس الـ (كي جي بي) خلال أشهر قليلة بسبب شهرته الخاصة!

وأضاف في صوت عميق : شهرته كرجل دموي حتى أنهم يطلقون عليه اسم «السفاح» أو «إيڤان الرهيب» في كل أوساط المخابرات العالمية!

رمقت كارمن ماجد ورجل المخابرات الروسي في دهشة دون أن تفهم شيئاً مما يدور حولها . . وتقدم «إيڤان» وهو يعرج عرجاً خفيفاً نحو دولاب امتلأ بكل أنواع المشروبات الروحية ، وصب لنفسه كأساً ممتلئاً جرعه في عنف ، والتفت إلى ماجد وقد احمرّت عيناه فصارتا مثل جمرتين متقدتين وقال: لقد ضاع كل شيء . . كل شيء . . ولو لم أنفد بجلدي في الوقت المناسب لربما جزوا رأسي عقاباً لي!

وصاح بصوت كالصراخ : انظر إلى قدمي . . لقد أصابتني إحدى رصاصاتهم قبل أن أتمكن من الهرب والنجاة . . هؤلاء

الأغبياء صاروا الآن يتهمونني بالخيانة بالرغم من أنني أردت إنقاذ البلاد من الهاوية التي كانت تسقط فيها . . ولكنهم فتحوا كل ملفاتي السابقة واتهموني بالقتل والتعذيب واتخاذ كل الوسائل القذرة من أجل الحصول على المعلومات وحماية بلادي .

كان على ماجد استدراج رجل المخابرات الروسي الهارب ليكتشف سر جزيرته النائية الغامضة ، ولم يكن هناك من سبيل غير إثارة «إيڤان» ودفعه للحديث رغماً عنه فقال له ماجد ساخراً :

إن ما أعرفه عنك هو أنك كنت تتلذذ بتعذيب ضحاياك ومشاهدتهم وأطرافهم تُقطع واحداً بعد الآخر . . وكذلك كنت تقوم بتلفيق التهم للأبرياء والتخلص منهم . . لكي لا يمكن لإنسان إدانتك وهو ما جعلك جديراً في النهاية بأن يطلق عليك لقب «السفاح» فلماذا تشكو الآن ، فقد كان من العدل أن تواجه نفس مصير ضحاياك وعلى أيدي زملائك!

التمع بريق شيطاني في عيني «إيڤان» وقال لماجد : إنك تعرف عني أشياء كثيرة . . أكثر مما ينبغي . . ولكن الذي لا

يعرفه أحد أنني هربت في الوقت المناسب إلى هذه الجزيرة مع عدد من رجالي المخلصين الذي ينفذون أوامري دون نقاش مهما كانت. . وقد حانت لي الفرصة أخيراً في هذا المكان لكي أعيش وأفعل ما أريد وأحقق أحلامي التي فشلت في تحقيقها في بلادي. . ولكن أحداً لن يمنعني من تحقيقها بعد ذلك، بعد أن حولت هذه الجزيرة إلى قلعة مسلحة أشبه بمعجزة فريدة، لا يمكن أن يكررها إنسان مرة أخرى.

واحتقنت عيناه اكثر وهو يقول: لقد كانت البداية ممتعة ورجالي يطاردون أولئك البدائيين سكان هذه الجزيرة ويبيدونهم عن آخرهم. . وكذلك فعلوا بطيور الجزيرة التي باتت تخشى حتى من التحليق فوق سماء الجزيرة خوفاً من رصاصاتنا القاتلة. . أما تلك السفن الغبية التي تقترب منا فإنني أرسل إليهم بدلافيني المدربة تدريباً عالياً وهي تحمل فوق ظهورها قنابل شديدة التفجير. . فينطلق الدرفيل كالطوربيد بالقنبلة المحملة فوق ظهره، وما أن يصطدم بقاع السفينة حتى تتفجر في دوي هائل وتتحول إلى أشلاء ولا ينجو أحد من ركابها.

تذكر ماجد الدلفينين اللذين صادفهما على شاطئ الجزيرة . . كان الدلفينان كأنما ينقلان له رسالة تحذير حزينة بما يجري لبني جنسهما ، أو أي غريب من يقترب من شاطئ الجزيرة الملعونة .

وانفجر رجل المخابرات الروسي في الضحك بصورة هيستيرية ، ثم توقف عن الضحك عندما سأله ماجد : ترى أي سر تحتويه جزيرتك لكي تخشى من تطفل الغرباء ، فتنسف سفنهم وتقتل الأبرياء بالمئات من أجل عدم كشف هذا السر؟

جرع «إيڤان» كأساً آخر فبدت عيناه بلون الدم كعيني سفاح . . والتفت إلى ماجد بصوت حاد قائلاً : إن أحداً لا يعيش طويلاً بعدِ أن يعرف سري . . فهل أنت لا تزال تشغل نفسك بنفس السؤال وترغب في الحصول على إجابته؟

أجابه ماجد دون أن تختلج عضلة واحدة في وجهه بسبب التهديد الصريح : إن كثيرين عاشوا أكثر مما كان مقدراً لهم يا عزيزي ، فلا تشغل نفسك بهذا الأمر بالنسبة لي!

ارتسم على وجه «إيڤان» السفاح ابتسامة وقال لماجد : لقد اخترت فلا تلوم إلا نفسك في النهاية . . وإن كنت سأترك

لك ولرفيقتك اختيار الطريقة التي تفضلان أن تموتا بها!

ماجد : إن رفيقتي ليست سوى إحدى ركاب السفينة الأميركية التي نسفتها . . وليس لها دخل بوجودي في هذا المكان أو المهمة التي جئت لأجلها . . ومن العدل إعادتها إلى بلادها سالمة آمنة .

تجرّع «إيڤان» كأساً أخرى وهو يقول : أخبرتك من قبل أن كل من يخطو فوق هذه الجزيرة أو حتى يقترب منها ، فليس له غير مصير واحد . . الموت!

فارتعدت «كارمن» بشدة ولكن نظرة ماجد المطمئنة أعادت إليها قليلاً من ثباتها . . وأشار لهما رجل المخابرات الروسي الهارب قائلاً : اتبعاني .

وسار ماجد «وكارمن» خلفه ، وخلفهما عدد من الحراس المسلحين بالبنادق السريعة الطلقات . وتطلعت «كارمن» إلى ماجد مرة اخرى ولكنه طمأنها بنظراته الهادئة الواثقة .

وهبط الجميع سلماً في قلب الجزيرة على مسافة طابقين لأسفل . وانتهوا جميعاً إلى قلب قاعة دائرية عريضة لا يقل قطرها عن خمسمائة متر . وكانت القاعة مبطنة من الداخل

بألواح ذات طبقات متعددة من الصلب . . وقد جهزت بثلاجات ضخمة وأماكن لأسرّة النوم وشاشات تليفزيونية وكل ما يحتاجه إنسان للبقاء في ذلك المكان لوقت طويل .

كانت القاعة تبدو مثل شيء خاص طالعه ماجد ذات مرة في أحد التقارير التي وردت عن المخابئ النووية التي تقيمها بعض البلاد المتقدمة لسكانها للإحتماء بها في حالة نشوب حرب نووية . والتفت ماجد مقطّباً لرجل المخابرات الروسي فأجابه قائلاً : إنها كما فكرت تماماً . . مخبأ نووي على أحدث طراز يمكن لمن يعيش فيه أن يظل بضعة أعوام بداخله في حماية كاملة وراحة تامة . . إلى أن يتبدد الإشعاع النووي من فوق سطح الكرة الأرضية .

تساءل ماجد مقطّباً : وهل تتوقع حدوث حرب فوق الأرض ولذلك شيدت هذا المخبأ النووي في قلب المحيط؟

غمغم «إيڤان» في صوت رهيب : إنها ستحدث . . بل هي قد بدأت بالفعل . . ولم تبق إلا اللحظة التي يتم الإعلان فيها عنها . . فإن الوقت الماضي منذ هروبي لم ينقضي عبثاً!

راقب ماجد «إيڤان» في صمت . . لم يكن من شك في أن

الرجل على حافة الجنون أو هو قد اخترق تلك الحافة فعلاً. وتساءل ماجد: ترى أي عمل يمكن أن يقوم به رجل مجنون دموي كهذا، وما الذي قصده بقوله إن الحرب النووية بدأت بالفعل؟

وأشار «إيڤان» إلى ماجد قائلاً: سأريك شيئاً فريداً لم يره إنسان من قبل أبداً.. ولا حتى رجالي فوق هذه الجزيرة.. إنه الشيء الذي طاردتني مخابرات بلادي لأجل استعادته دون فائدة.

وضغط على زر بالحائط بجواره، فتحرك الجدار المعدني كاشفاً عن باب من الصلب السميك، تتوسطه دائرة إلكترونية بحجم كف اليد، فوضع «إيڤان» يده داخل الدائرة الإلكترونية وهو يقول: إنها لا تُفتح إلا لي عن طريق تحليل انسجة اليد والبصمات والتعرف عليها، ويستحيل أن يتمكن أي إنسان على الأرض من خداعها!

وما كاد ينهي عبارته حتى انفتح الباب السميك وظهرت خلفه رفو ف قد وضعت فوقها صناديق من الصلب كل منها بطول نصف متر وعرض ثلاثين سنتيمتراً وبنفس

الارتفاع . . وقد امتلأت الحجرة بأجهزة معقدة ومؤشرات لضبط درجات الحرارة والضغط والطاقة الكهربائية . .

كان عدد الصناديق يصل إلى العشرين وفوقها جميعاً شعار المخابرات الروسية . . وقد تعلقت عينا «إيڤان» بها في جنون بالغ .

ولم يكن هناك شك لدى ماجد في حقيقة الشيء الذي يراه ، فالتفت إلى رجل المخابرات الروسي قائلاً بوجه قاسٍ وفم مزموم بقوة : إنها قنابل نووية . . أليس كذلك؟

وشهقت «كارمن» من المفاجآة وارتعد بدنها لكلمات ماجد . . ومسح «إيڤان» زجاج نظارته في هدوء وقسوة قائلاً لماجد : تعجبني قدرتك على الاستنتاج السريع أيها العميل المصري .

وفتح أحد الصناديق فظهرت بداخله قنبلة نووية متوسطة الحجم من طراز خاص . وأكمل ضابط المخابرات الروسي قائلاً لماجد : لا شك أنك الآن تقدّر المجهود الذي بذلته في إخراج وتهريب هذه القنابل من مستودعات الجيش والمخابرات السرية التي كانت موضوعة تحت حراسة رهيبة يستحيل أن يخترقها إنسان . . ولكن «إيڤان» الرهيب باستطاعته دائماً أن يفعل أي

شيء. . ولعلهم الآن يعضون أصابعهم ندماً بعد أن اكتشفوا استيلائي على تلك القنابل، دون أن يدروا إلى أين أخذتها وأخفيتها، ولا ما الذي أنوي أن أفعله بها.

وربت على إحدى القنابل في رفق شديد وهو يقول: إن هذه القنابل متطورة جداً وقدرتها التدميرية عالية. . وقنبلة واحدة منها قادرة على نسف بلد كامل مثل «إنجلترا». . وإذا ما انفجرت هذه القنابل معاً لدمرت قارات العالم واحالته إلى فقر وخراب لن تجد ولا حتى «البوم» لتنعق فوقها!

ماجد: ولكن هذا جنون. . هل تنوي بيع هذه القنابل إلى أي دولة تملك ثمنها. . إنها بذلك قد تسقط في أيدي الارهابيين وقد يستعملها البعض في غباء فيدمرون بها العالم.

ولكن «إيفان» قاطعه في صوت هادئ قائلاً: من قال إنني أنوي بيعها أو إنني في حاجة إلى المال. إن هذا هو آخر ما أفكر فيه، فإن لدي من المال مئات الملايين التي جمعتها خلال عملي السابق، وهي تحت يدي هنا في هذه الجزيرة على شكل سبائك ذهبية تنتظر اللحظة المناسبة لكي أستخدمها فيها.

ماجد: لست أفهم الغرض من سرقتك لهذه القنابل وإحضارها الى هذا المكان النائي؟

تألقت عينا «إيڤان» وقال: ستفهم كل شيء حالاً . . والآن .

وضغط «إيڤان» على زر في مقدمة الحجرة فانفتح جدارها كاشفاً عن ممر طويل تضيئه أضواء خافتة، وسار «إيڤان» في المقدمة يتبعه ماجد «وكارمن» وعدد من المسلحين في الخلف شاهرين بنادقهم في يقظة بالغة .

وانتهى الممر بآخر متلوٍ . . وشاهد ماجد قاعة كبيرة لأسفل ارتص فيها عشرات من الصواريخ العملاقة التي يصل طول كل منها العشرة أمتار .

كانت صواريخ عابرة للقارات . من النوع المجهز لحمل الرؤوس النووية، ويتحكم في إطلاقها وتحديد أهدافها جهاز كمبيوتر ضخم هائل القدرات يمثل أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا، وقد وضع في ركن القاعة .

والتفت ماجد نحو «إيڤان» غير مصدق ما يراه أمامه . . فطالعته عينا السفاح وقد ارتسمت فيهما نظرة جنون مطبق . . نظرة ذئب لا يمتعه غير رؤية الأشلاء والدماء متناثرة في كل مكان . . فوق سطح الأرض!

الهدف الجنوني

تمالك ماجد مشاعره بقوة وحاول ألا تكشف لهجته عن أي انفعال وهو يقول «لإيفان» : أنت تريد دمار العالم . . أليس كذلك؟

تجرّع السفاح كأساً أخرى مرة أخرى ، والتفت إلى ماجد وقد تحولت عيناه إلى لون دموي حار وقال : لقد أخطأت يا عزيزي . . فإنني لا أرغب إلا في تدمير نصف العالم فقط . . حتى يمكنني حكم النصف الثاني بعد أن أخرج من مخبئي وتنقشع السحابات الإشعاعية من العالم . . ووقتها لم يمكن لإنسان معارضتي أو الوقوف في وجهي ، بل إن الجميع سيتوسلون إليّ لكي أخرج من مخبئي وأحكم العالم!

صرخت كارمن في رجل المخابرات الروسي : أنت مجنون . . مجنون .

التمع الجنون المطبق في عيني «إيڤان» وقال وهو يجز على أسنانه : إنني لا أحب أن يصفني إنسان بهذه الكلمة أبداً . . ولسوف يدفع أولئك الأغبياء الذين وصفوني بالجنون في بلادي الثمن غالياً قريباً جداً . . بل أقرب مما يتصورون . لقد عرضت عليهم خطتي للسيطرة على العالم بإطلاق صواريخنا النووية على كل البلاد المتقدمة وخاصة «أمريكا» لمحوها من الوجود لكي نحكم العالم وحدنا . . ولكنهم اتهموني بالجنون . والآن قررت أن تنطلق صواريخي وقنابلي إلى بلادي أيضاً في «روسيا» . . حتى تتم معاقبتهم على ما فعلوه بي . . فأمحو هؤلاء الأغبياء من الوجود في هذا العالم . . فلا يبقى أحد لحكمه غيري!

وانفجر «إيڤان» ضاحكاً في هيستريا اثبتت جنونه الكامل .

ونظرت «كارمن» إلى ماجد في ارتعاد فضغط على يدها طالباً منها أن تهدأ . . فقد كان في حاجة إلى مزيد من

المعلومات من ذلك السفاح المجنون. . . وكان الوقت يمضي بسرعة. . وأن كل دقيقة ضائعة يفقدها قد تعني نهاية العالم على يد ذلك السفاح المجنون الذي لا يدري إنسان عن أمره شيئاً.

وتظاهر ماجد بعدم الاكتراث وهو يقول لرجل المخابرات الروسي: ولكنك في حاجة إلى منصة إطلاق للصواريخ الحاملة للرؤوس النووية. . فهذه الصواريخ لن تنطلق من مكانها هذا.

تلاعبت ابتسامة شيطانية على وجه «إيڤان» وقال: إنها موجودة، ولقد استغرق بناؤها فوق الجزيرة بعض الوقت وهو ما أعاقني خلال الشهور القليلة الماضية. . أما أروع شيء فقد كان طريقة إخفاء هذه المنصة عن الانظار حتى لا يتمكن أي قمر صناعي أو طائرة تجسسية من التقاط صور لها. . ولكي لا يكتشف الأعداء خططي قبل أن أقوم بتنفيذها. . لقد احتطت لكل شيء. . لكل شيء.

واستدار إلى ماجد وعيناه تطلقان الشرر وهو يقول: والآن ما رأيك يا عزيزي في كل ما شاهدته وسمعته؟

أجابه ماجد بصوت ساخر:

رأيي أنه كان من سوء الحظ أن الرصاصة التي أطلقها زملاؤك عليك أصابت ساقك وليس رأسك!

جز «إيڤان» على أسنانه في غضب حاد وهو يقول: حسنا. . لقد عاقبت نفسك بنفسك فإن كثيرين قطعت رقابهم لأقل مما قلته الآن. . وبإمكاني أن آمر بانهاء حياتك الآن، ولكني أرغب في أن تعيش حتى منتصف ليلة الغد، لتشاهد بنفسك صواريخي وهي تنطلق إلى أهدافها في كل قارات الأرض. . في «أمريكا» «وأوروبا» «وآسيا» «وأستراليا» وحتى في «أفريقيا». . لتقتل وتفني أولئك الاغبياء. . وبعد ذلك لن يمنعني شيء من أن أتفنن في عقابك على تسللك لجزيرتي وإهانتك فأنزع أعضاءك واحداً وراء الآخر. . وسأبدأ بلسانك. . كي لا ينطق بتلك الكلمة ثانية!

ولكن ماجد واجه تهديد رجل المخابرات الروسي بنظرة هازئة قائلاً: لقد سمعت مثل تلك الكلمات من قبل كثيراً. . ولسوء حظ من قالوها أنني لم أتمكن من وضع زهرة على قبورهم. . لأنهم عادة إما ماتوا في انفجار لم يترك منهم شيئاً يوضع في مقبرة، أو لأن أسماك القرش تكفلت بالمهمة ذاتها!

راقب «إيڤان» السفاح ماجد بغضب ثم تمالك نفسه وغمغم

في هدوء : سوف نرى كيف ستكون النهاية .

واستدار نحو « كارمن» فلم يلاحظ ماجد وهو يلتقط جهازاً صغيراً من أسفل ساق بنطاله ويخفيه بحركة بارعة أسفل جهاز الكمبيوتر الضخم في المكان والخاص بالتحكم في إطلاق وتوجيه الصواريخ النووية .

ومد رجل المخابرات الروسي أصابعه النحيلة المعروفة نحو وجه « كارمن» قائلاً :

أما أنت يا عزيزتي الرائعة الحسن ، فيبدو أن القدر قد أرسلك لي لمكافأتي وتسليتي في وحدتي . . ولن يكون هناك أمتع من أن أتزوجك فتحكمين العالم معي بعد تدميره!

انفجرت « كارمن» باكية في رعب . . وجاست أصابع «إيڤان» فوق شعرها وهو يقول : إنني لم أسمع ردك يا عزيزتي على ما قلته؟

وأجابه ماجد بصوت قاسٍ ساخر : لماذا لا تسمع الرد مني نيابة عنها فأنا أقدر في التعبير عن ذلك؟

وطارت قدم ماجد لتصيب رجل المخابرات الروسي في وجهه فهشمت نظارته الطبية وأسالت الدماء من أنفه . . وقبل

أن يُطلق الحراس المسلحون رصاصهم القاتل نحو ماجد صاح يڤان» بهم: دعوه. . لا تقتلوه الآن. . فقد تضاعفت رغبتي في تعذيبه. . ولن يمنعني شيء من أن أفعل ذلك به قبل أن تنطلق قنابلي وصواريخي إلى أهدافها، فإنني أرغب أن يشاهد هذا الأحمق تدمير بلاده والعالم، قبل أن أرسله إلى الجحيم!

وحدّق ماجد في فوهات البنادق المصوبة إليه والتي كانت جاهزة لتنطلق نحوه مع أقل بادرة مقاومة، بحيث كان من المستحيل عليه حماية نفسه «وكارمن» في الوقت نفسه.

كان في موقف لا يحسد عليه. وأشار «إيڤان» السفاح إلى رجاله، فأحاطوا بماجد من كل جانب واقتادوه خارجاً. وعندما اندفعت «كارمن» خلفه أمسك بها «إيفان» بأصابع حديدية، وقال لها بابتسامة ساخرة: إلى أين يا عزيزتي. . انك منذ هذه اللحظة لن تغادري هذا المكان إلا بعد فناء العالم. . فنخرج معاً لنحكم ما تبقى معاً، فهل هناك ما هو أمتع من ذلك؟

وأطلق رجل المخابرات الروسي ضحكة عالية هيسترية. . ضحكة سفاح مجنون!

* * *

ضابط المخابرات.. الأمريكي

كان الوقت فجراً عندما قاد الحراس المسلحون ماجد تجاه بناء قريب من الأسمنت المسلح يقف على حراسته ستة من رجال «إيڤان»، وأدرك ماجد من منظر البناء المخيف أنه مبنى السجن الذي سيحتفظون به بداخله إلى أن يحين موعد إطلاق الصواريخ النووية. وقد بدا من منظر المبنى الاسمنتي المسلح أنه من المستحيل لأي سجين اقتحامه أو الهرب منه بسبب سماكة جدرانه.

وكان على ماجد التصرف بسرعة قبل دخوله ذلك السجن الرهيب وإلا تضاءلت فرصته لأي عمل، فالتفت إلى أقرب حراسه قائلاً له: هل يمكنك إشعال سيجارتي؟ فدفعه الحارس في خشونة قائلاً: بل يمكنني إشعال رأسك بالرصاص!

فأجابه ماجد : من المؤسف أن كل المقيمين فوق هذه الجزيرة ينقصهم حُسن التربية . . وهي فرصة لا يمكنني أن أتركها تمر ، دون أن أعيد تهذيب اخلاق البعض منهم بطريقتي الخاصة!

وطارت قدم ماجد لتصيب الحارس في وجهه وهو يقول له: لو أنك قدمت لي ثقاباً . . لاكتشفت أنني لا أدخن السجائر ، ولوفرت على نفسك كل هذه المتاعب!

وكانت قوة ضربة ماجد من الشدة بحيث إنها هشمت أنف الحارس المسلح . وأطاحت به للوراء مترين . وقفز ماجد في الهواء بقدميه معاً مصوباً ضربتين سريعتين لحارسين آخرين . . وما أن لمس الأرض حتى أطبق على رقبة أحد الحراس وثناها بعنف فسقط الحارس دون حراك قبل أن يشهق بالألم!

ولكن وبحركة مباغتة هوى أحد الحراس فوق رأس ماجد بمؤخرة بندقيته في عنف . . فترنح ماجد ثم سقط على الأرض دون حراك .

وغمغم الحارس المسلح في حقد لماجد الممدد على الأرض: إننا أيضاً نتعامل مع أمثالك بطريقتنا الخاصة ، وليست هذه غير عينة صغيرة .

وأشار لزملائه فحملوا ماجد إلى داخل زنزانة من الصلب السميك، وأغلقوا بابها عليه من الخارج.

* * *

انفجر «إيڤان» فلاديمير في الضحك بطريقة ساخرة.. ثم أخرج من جيبه شيئاً ضئيلاً مده إلى «كارمن» قائلاً: هل رأيت هذا الشيء الساحر.. لقد تركه زميلك في مكان ما.. ولكن كاميراتي السرية استطاعت رصده في الوقت المناسب.

حدقت «كارمن» في الشيء الذي حمله «إيڤان» في يده ساخراً. كان هو الجهاز الصغير الذي أخفاه ماجد أسفل جهاز الكمبيوتر الكبير في حجرة الصواريخ الضخمة. وقد وضح أن كاميرات ذلك السفاح السرية قد التقطت حركة ماجد فاستعاد رجل المخابرات الروسي الجهاز الضئيل في الوقت المناسب، وتفحص «إيڤان» الجهاز قائلاً بإعجاب: إنها خلية مغناطيسية من أبرع ما أنتجه العقل البشري، فهي قادرة على التشويش على الجهاز الإلكتروني مثل الكمبيوتر الضخم الذي

وضعه رفيقك أسفله، ولو أنها بقيت في مكانها لأفسدت عمله وشوشت عليً عملية إطلاق الصواريخ وتوجيهها.. ولأفسدت كل خلايا الكمبيوتر ودمرتها، فاستحال إطلاق الصواريخ النووية تماماً!

قطبت «كارمن» حاجبيها في غضب وتبدلت ملامحها بشكل عجيب فاختفت معالم الرقة من وجهها.. وبدت كأنها تحولت إلى شخص مختلف تماماً.. وأن القطة الوديعة انقلبت إلى نمرة مفترسة. واقترب منها «إيفان» قائلاً: إن ذلك المصري لا يمتلك قبضة قوية فقط، بل وعقلاً مدهشاً أيضاً، وهو يعرف كيف يستخدمهما معاً بالطريقة المناسبة.. ولكن أحداً مهما كانت براعته لا يمكن أن يخدع «إيڤان فلاديمير».. رجل المخابرات العظيم وصاحب العقل الجهنمي.

فأجابته «كارمن» ساخرة: إن كل الحمقى والمغفلين يظنون أنفسهم دائماً أذكى الأذكياء.. وقد حان أوان تلقينك درساً لتفيق من أوهامك وتدرك أي شخص تكون أنت!

وأمسكت «كارمن» ذراع «إيڤان» وثنتها بقوة بحركة «جودو» سريعة، فطار «إيڤان» في الهواء ثم سقط على الأرض

في عنف . . وما كاد يقف على قدميه حتى طارت قدم «كارمن» كالصاعقة لتصيبه في وجهه وتهشم أسنانه ، فاندفع «إيڤان» نحو الحائط واصطدم به في عنف شديد وتمدد تحته وهو يئن من الألم .

وفي الحال اندفع إلى داخل الحجرة عدد من الحراس المسلحين شاهرين بنادقهم ، ولكن «كارمن» أمسكت «بإيڤان» من الخلف وطوقت رقبته بذراعها ، وصاحت في الحراس : إذا تحرك أحدكم حطمت رأس رئيسكم الغبي وهشمت فقرات عنقه .

فتوقف الحراس أماكنهم في قلق وخوف ، وفي صوت مذعور نطق «إيفان» قائلاً لكارمن : من أنت . . ما هي حقيقتك؟

فأجابته ساخرة : أقدم لك نفسي . . «كارمن مارشال» . . ضابطة في المخابرات الأمريكية!

ردد إيڤان ذاهلاً : أنت ضابطة بالمخابرات الأمريكية؟

فأجابته «كارمن» بسخرية أشد وهي تشدد ضغط ذراعها حول رقبته : ألم أقل لك أنك أكثر من قابلتهم في حياتي غباء

وحماقة . . لقد انطلت عليك تمثيليتي كما انطلت على العميل المصري الذي ساعدني في الدخول إلى هذا المكان . . فبلادي ما كان يمكنها أن تسكت على ما يحدث فوق هذه الجزيرة ، ويبدو أنني وصلت في الوقت المناسب لإنقاذ العالم من سفاح مجنون ينوي تدميره بقنابل نووية . وها أنا قد تمكنت من السيطرة عليك وسأمنع عملية إطلاق الصواريخ النووية ودمار العالم بأي ثمن .

وصاحت «كارمن» في الحراس المسلحين : عليكم بتدمير كل الحاسبات والعقول الإلكترونية والصواريخ الضخمة فوق هذه الجزيرة الملعونة وإلقائها في المحيط .

ولكن أحدا من المسلحين لم يتحرك من مكانه ، فشددت «كارمن» قبضتها على رقبة «إيڤان» اكثر وهي تقول له:اطلب منهم تنفيذ أوامري وإلا قتلتك .

فأجابها «إيڤان» مرتعداً : سوف أفعل .

ولكنه وبحركة مباغتة أخرج شيئاً من جيبه وألقاه في وجه كارمن فأصاب عينيها ، فلم تعد ترى شيئاً من الألم الحارق ، وسقطت على الأرض صارخة : إنني لا أرى شيئاً أمامي .

وفي الحال انقض عليها رجال «إيفان» المسلحون ، وقال لهم رئيسهم : خذوا تلك الماكرة الى حجرتي واتركوها مقيدة اليدين والقدمين . فإنني أرغب في الانتقام منها انتقاماً رهيباً بعد أن تستعيد قدرتها على الرؤية مرة أخرى ، بعد أن يزيل تأثير السائل الذي أعمى عينيها مؤقتاً .

* * *

نعش.. من فولاذ!

أفاق ماجد ببطء وهو يشعر بألم قليل في مؤخرة رأسه.. وبدأ يتنبه إلى ما حدث له.. وفتح عينيه فشاهد جدران الزنزانة المحبوس فيها.. والتي أضاءتها لمبة صغيرة شاحبة قد تدلى منها سلك كهربائي بطول الجدار.

ونهض ماجد وهو يتساءل كم من الوقت مضى عليه وهو في سجنه؟ وتنبه إلى أن كل أسلحته الصغيرة و أشيائه السرية قد انتزعت منه بعد أن تم تفتيشه وسلبها منه وهو فاقد الوعي.

وأطل من كوة تسدها قضبان حديدية فشاهد أحد الحراس المسلحين خلف باب الزنزانة. كان له وجه قبيح خشن مليء بالندوب، فسأله ماجد: كم الساعة الآن؟ أجابه الحارس

ساخراً: هل أنت مدعو للعشاء وتخشى من التأخر؟

ماجد: لا.. بل أنا مدعو للذهاب الى مسرحية.. وإن كان لا يهمني التأخر.

بصق الحارس على الأرض وهو يسأل ماجد: لماذا؟

أجابه ماجد: لأنه من الصدف العجيبة أن بطل تلك المسرحية له وجه قبيح مثل وجهك.. وأنت تعرف دون شك أن رؤية مثل ذلك الوجه بعض الوقت تفسد شهية الإنسان على تناول طعامه وهو الأمر الذي لا يمكنني أن أغامر بشأنه!

فقهقه الحارس وهو يقول: إن لك روحاً مرحة تعجبني.. برغم أنه لم يتبق لك على قيد الحياة أكثر من ساعة واحدة.

جمد ماجد مكانه بعد أن سمع عبارة الحارس الأخيرة، فقد كانت تعني أنه بقيت ساعة واحدة على موعد إطلاق أول الصواريخ النووية في منتصف الليل تماماً.. وأن الساعة في تلك اللحظة كانت الحادية عشرة تماماً.

وفكر ماجد.. كان عليه مغادرة سجنه بأية وسيلة، ولم يكن يمتلك أي سلاح يفعل به ذلك!

وكان عليه ابتكار وسيلة يغادر بها المكان بأسرع ما يمكن!

ووقع بصره على السلك الكهربائي المدلى من السقف فومضت الفكرة في رأسه.. وفي الحال امتدت أصابعه عالياً فأمسكت بالسلك وانتزعه من اللمبة الكهربائية الصغيرة فغمر الغرفة الظلام.. وأطل الحارس من الخارج متسائلاً في شك: لماذا أطفأت نور الزنزانة؟

فأجابه ماجد: لقد فعلت ذلك حتى لا أضطر لرؤية وجهك القبيح!

وامتدت يد ماجد اليمنى عبر الكوة الحديدية لتمسك بياقة قميص الحارس في عنف، وامتدت يده الأخرى بالسلك الكهربائي العاري ليلامس وجه الحارس الذي صرخ متألماً عندما سرى فيه التيار الكهربائي وهو عاجز عن الحركة، فأبعد ماجد السلك عن الحارس وهتف به وهو لا يزال قابضاً على ياقته في عنف: من عجائب الصدف أيضاً أنك تصرخ بنفس الطريقة التي يصرخ بها بطل تلك المسرحية عندما يأخذه الحماس ويندمج في التمثيل.. والآن هل ستفتح باب الزنزانة أو أحوّل جسدك إلى فحم مشتعل بالكهرباء؟

وما أن لامس السلك الكهربائي العاري وجه الحارس ثانية حتى صرخ متألماً وصاح في ماجد متوسلاً : سأفتح لك باب الزنزانة فلا تصعقني بالكهرباء مرة أخرى .

وبسرعة دس المفتاح في باب الزنزانة وفتحها، فقفز ماجد خارجها، وأمسك بالحارس وهوى برأسه فوق جبهة غريمه بضربة قوية فترنح الحارس ثم سقط على الأرض فاقد الوعي. وألقاه ماجد داخل الزنزانة وأغلقها عليه، ثم أطل من كوة الباب للداخل وقال للحارس الفاقد الوعي : لو أنك شاهدت تلك المسرحية لعرفت أن بطلها القبيح الوجه انتهى به الأمر في زنزانة . . تماماً كما حدث لك!

والتقط ماجد بندقية الحارس، ثم غادر مبنى السجن من إحدى نوافذه المفتوحة دون أن يشعر به بقية حراس المبنى في الخارج .

وتحرك ماجد فوق الجزيرة يخفيه الظلام والسكون . . وتوقف فجأة عندما شاهد تلاً صغيراً أمامه وهو ينفتح بطريقة ميكانيكية . وبرزت من قلبه قاعدة لإطلاق الصواريخ، وقد ثبت عليها صاروخ ضخم عابر للقارات قد استعد للإنطلاق .



كانت المفاجآة مذهلة لماجد، حتى أنه توقف مكانه مغمغماً: يا لهذا الشيطان . . لقد أخفى قاعدته بطريقة جهنمية داخل تل صناعي حتى لا يكتشف مكانها إنسان، ويبدو أن عقوله الإلكترونية لا تزال تعمل بطريقة سليمة وأن وحدة التشويش المغناطيسية التي ألصقتها بالحاسب الآلي الضخم قد تعطلت عن العمل.

وفي صوت حانق أضاف : أو أن هذا السفاح قد اكتشفها وانتزعها من مكانها!

كان الوقت يمضي بسرعة بالغة . . وتنبه ماجد الى السائل الساخن الذي كان يتلوى عبر مجرى ضيق خلف قدميه فتأمله في دهشة ثم أدرك حقيقته عندما تحسسه بيده. كان خليطاً من الحمم الساخنة التي أخذت طريقها من قلب البركان تحت الجزيرة، وقد وضح لماجد أنه بركان حي وأنه قد ينفجر في وقت قريب فيحيل المكان إلى جحيم!

ولم يكن لدى ماجد أي وقت للإنتظار . . فاندفع نحو منصة إطلاق الصواريخ . . وقابله أحد المسلحين ولكن قبل أن ينطق بكلمة واحدة محذرة كانت قبضة ماجد قد ألقته في عالم الغيبوبة مهشم الأنف .

وانكشفت لماجد القاعدة من أسفل . . كانت عامرة بالمسلحين ومهندسي التشغيل . .

* * *

وكانت حجرة التحكم في إطلاق الصواريخ بأسفل جهة اليسار ويتعين على ماجد الوصول إليها بأي ثمن لمنع إطلاق الصاروخ النووي .

ولم يكن هناك أي وقت للقتال ، فارتدى ماجد ملابس الحارس الممدد بجواره وأخفاه خلف بعض الصخور ، ثم هبط داخل القاعدة محاذراً ألا يشكف أحد حراسها ملامح وجهه .

واستطاع الوصول إلى حجرة التحكم دون أن يشتبه به أحد .

ولكن ما كاد يدخل حجرة التحكم حتى انغلقت عليه أبواب من الفولاذ لتحاصره داخل صندوق ضيق لا تزيد مساحته عن مترين في متر واحد .

وحاولَ ماجد مغادرة صندوق الفولاذ دون فائدة . . وجاء صوت «إيڤان» مفاجئاً ساخراً عبر ميكروفون سري بالمكان يقول له : إنني أعترف بأن الطريقة التي هربت بها من الزنزانة رائعة وفيها ابتكار خليق برجل مخابرات من طراز مدهش ، ولقد تركتك حتى تصل إلى القاعدة وأغريتك بدخولها دون أن تدري أنني أعددت لك نعشاً رائعاً من الفولاذ لتموت بداخله . . فسوف ينفذ الهواء في هذا النعش خلال دقائق قليلة في نفس اللحظة التي سينطلق فيها أولى صواريخي النووية إلى هدفه المحدد ليحوّل العالم إلى جحيم . . فتنطلق معه روحك إلى جحيم آخر .

وصمت «إيڤان» لحظة ثم أضاف : لقد تبقى خمس عشرة دقيقة فقط . . وبعدها سأكون الرجل الذي يحكم العالم بأكمله ، بعد دمار نصفه!

وانطلق الصوت ضاحكاً في هيستريا . . بضحكة مجنونة . . قبل أن يخفت الصوت المجنون ويتلاشى تماماً .

وهكذا بدأ العد التنازلي!

رجل المفاجآت

استغرقت «كارمن» وقتاً حتى تمكنت من قطع قيودها. كانت قيودها قاسية من حبال بلاستيكية مدعمة بخيوط من الصلب.. ولكن فتاة مثل «كارمن» كانت تعتبر من أفضل العاملات في جهاز المخابرات الأمريكية، لم يكن يستعصى عليها مثل تلك القيود التي تدربت على التخلص منها من قبل عشرات المرات. ولُحسن حظها فقد كان السائل الذي ألقاه «إيڤان» في وجهها يصيب العيون بعمى مؤقت.. فاستعادت «كارمن» قدرتها على البصر ثانية بعد ساعات قليلة.

وألقت «كارمن» نظرة إلى ساعة أمامها في غرفة «إيڤان».. كانت الثانية عشرة إلا عشر دقائق!

وكانت الحجرة خالية إلا منها.. ولم يكن هناك شك في

أن ضابط المخابرات الروسي مشغول بإعداد صاروخه الأول الذي سينطلق بعد عشر دقائق فقط .

وتحركت «كارمن» خارجة من المبنى فلم يصادفها أحد . . فقد كان الجميع مشغولين بالإعداد لإطلاق أول الصواريخ .

واستغرقت بضع دقائق للوصول إلى مكان قاعدة إطلاق الصواريخ وقد برز الصاروخ المجهز للإنطلاق كأنه شيطان جهنمي يوشك أن ينطلق من مهمته لدمار العالم .

كانت قد تبقت ثلاث دقائق فقط على منتصف الليل . .

وأحست كارمن أن الوقت قد سرقها تماماً . . وأنه لم يعد باستطاعتها أن تفعل شيئاً وهي تراقب أول الصواريخ وقد انتصبت رأسه للسماء . . وتبقت ثوان على إطلاقه . .

لم يعد في استطاعتها أن تفعل أي شيء على الإطلاق . .

وتذكرت ماجد . . ورقته معها . . وإصراره على حمايتها دون أن يدرك حقيقتها . . وتعريض مهمته للفشل بسببها . . وأنه سوف يواجه الموت بعد ثوان قليلة بعد أن أخبرها «إيڤان» أنه قام بسجنه داخل تابوت من الصلب سيستحيل عليه مغادرته وسيختنق بداخله لقلة الهواء .

ولم تتمالك «كارمن» نفسها فأجهشت بالبكاء وهي تشعر بالعجز التام، الذي لم تشعر به من قبل أبداً في كل مهامها السابقة.

ولكن ومن قلب الظلام امتدت لها يد بمنديل حريري، وفاجأها صوت رقيق يقول: أرجو أن تمسحي دموعك يا عزيزتي.. فإنني لا أتحمل رؤية حسناء بارعة الجمال تذرف دموعاً كاللؤلؤ.

التفتت «كارمن» مذهولة نحو صاحب الصوت.. ثم شهقت عندما تبينت ملامحه وهتفت غير مصدقة: أنت؟

ثم سألته ذاهلة في لهفة: ولكن كيف غادرت ذلك التابوت الفولاذي؟

أجابها ماجدَ باسماً: لقد ألهمني ملاكي الحارس أن أحتفظ في قارورتي ببعض حامض الكبريتيك المركز الذي يذيب أعتى المعادن وأخفيت القارورة الصغيرة بين خصلات شعري، فلم يعثر عليها رجال «إيڤان» عندما فتشوني، ثم استخدمتها في الوقت المناسب، لأن الوقوف داخل ذلك التابوت الفولاذي لم يكن مريحاً بالنسبة لي ومن ثم كان عليَّ مغادرته بأقصى سرعة!.

حدّقت «كارمن» ذاهلة في ماجد، لا تصدق قدرته على السخرية في مثل ذلك الموقف الرهيب. . وفكرت في أن القدر قد جعلها تواجه رجلاً من طراز نادر في عالم المخابرات.

وقال لها ماجد: لقد توقعت أن تهربي في الوقت المناسب، فعملاء جهاز المخابرات الأمريكية لا يمكن أن تعطلهم أية قيود.

فسألته ذاهلة: هل كنت تعرف أنني عميلة للمخابرات الأمريكية؟

أجابها ماجد: يا عزيزتي. . لو أنني لم أكتشف حقيقتك في اللحظة المناسبة لكان عليّ أن أذهب للهو مع بعض الأغبياء بدلاً من عملي بالمخابرات. . فهل ظننت أن روايتك عن غرق سفينة والدك ونجاتك يمكن تصديقها. . فأولاً إذا كانت تلك الرواية صحيحة فالمفترض أن فتاة مرفهة وابنة مليونير مثلك لن تتمكن من التهام القواقع والأسماك نيئة ولو ماتت جوعاً. . وثانياً كيف أمكنك أن تقدري عدد حراس الجزيرة بحوالي المائة وأنت مختفية في مخبئك لا تقدرين على مغادرته. . وثالثاً كان من المستحيل بقاؤك عشرة أيام كاملة فوق شاطئ الجـ في ذلك الطقس الشديد البرودة دون أن تتجمدي وتموتي البرد.

شحب وجه «كارمن» وهتفت في ماجد: ولكنك طوال الوقت كنت تتظاهر بأن كذبتي قد انطلت عليك، فلماذا فعلت ذلك؟

رفع ماجد حاجبيه ببراءة طفولية قائلاً: يا عزيزتي.. في بعض الأحيان يكون التظاهر بالغباء مفيداً اكثر من إظهار الذكاء الخارق.. فقد كانت هناك كاميرات تليفزيونية في كل مكان تراقب حركاتنا، ولو أن «إيڤان» شك في حقيقتك لقتلك من اللحظة الأولى.. ولهذا تظاهرت بالغباء وعدم معرفتي حقيقتك لحمايتك وإعطائك فرصة للعمل الذي جئت من أجله بقدر أكبر من الحرية.

تأملت «كارمن» ماجد في رقة قائلة: أنت إنسان نبيل حقاً بأخلاق يندر وجودها في عالم المخابرات، كما أنك رجل المفاجآت بحق و..

وقطعت «كارمن» عبارتها وشهقت في ذعر عندما اشتعلت مؤخرة الصاروخ النووي الضخم وتحرك لأعلى في بطء نحو هدفه عبر المحيط على بُعد الآف الكيلومترات.

وصرخت كارمن في لوعة: الصاروخ النووي.. لقد سرقنا الوقت في الحديث فلم نحاول منع إطلاقه!

فأجابها ماجد بابتسامة غامضة : لا تخشي شيئاً . . فقد قمت بالعمل اللازم قبل مغادرتي للقاعدة . . فقد أبدلت صندوق القنبلة النووية داخل الصاروخ بآخر فارغ ، ولما كان من الصعب بل المستحيل علينا أن نقاتل أكثر من مائة من أسوأ رجال المخابرات الروسية الهاربين خلال وقت قصير لنمنعهم من إطلاق الصاروخ . . لذلك تعاملت مع الكمبيوتر الضخم لكي يغيِّر الصاروخ خط سيره المقرر نحو هدف آخر .

وأضاف في بساطة : إن الهدف الذي سيصيبه هذا الصاروخ هو هذه الجزيرة ذاتها ، ليهدم أحلام ذلك المجنون ويدمرها!

شهقت « كارمن » من الرعب . . وصرخت في ماجد : ماذا قلت؟ هل سينفجر الصاروخ في هذه الجزيرة؟

وبحركة رعب غريزية رفعت عينيها الى السماء ، شاهدت الصاروخ وهو يستدير في الفضاء دورة كاملة . . لكي يعود إلى النقطة التي انطلق فيها بسرعة شيطانية .

وصرخت « كارمن » في رعب .

وفي اللحظة التالية اصطدم الصاروخ بالجزيرة في انفجار رهيب . . وتحوّل المكان إلى جحيم مشتعل .

دعوة على العشاء!

ألقى ماجد بكارمن خلف صخرة كبيرة، ثم ألقى بنفسه خلفها. . واندلعت نار ضخمة إلى اليسار وتحولت قاعدة إطلاق الصواريخ إلى جحيم عندما اصطدم الصاروخ الضخم بها وانفجر فيها.

وصرخت «كارمن» في ماجد: سوف تنفجر القنابل النووية في مخابئها. . لا أمل لنا في النجاة.

فأجابها هادئاً: لا تخشي شيئاً. . فلو أنك تفحصت نموذج القنبلة الذي عرضه علينا ذلك السفاح المجنون في قلب الجزيرة لأدركت أن ذلك النوع من القنابل لا ينفجر إلا بتفاعلات معقدة، وأن النار والانفجارات مهما كانت قوتها لا تؤثر في

تلك القنابل النووية أو تقوم بتفجيرها .

فحدّقت «كارمن» في ماجد بذهول طاغ . . كان يبدو أمامها مثل جنى مصباح علاء الدين القادر على كل شيء . . والذي يعرف كل شيء .

وأفاقت من ذهولها على صراخ الحراس المسلحين وقد اندفعوا في كل اتجاه محاولين السيطرة على النار الرهيبة .

وهمس ماجد لكارمن : والآن لنسرع بمغادرة الجزيرة قبل أن تتحوّل إلى جحيم مشتعل ، فالنار سوف تلتهم كل شيء في طريقها ولن يتمكن إنسان من اطفائها .

ولكن «إيفان» اندفع بجنون صارخاً في رجاله : اقبضوا على هذين العميلين الهاربين . فإنهما من تسببا في إفساد خططي وتدمير الجزيرة .

وفي الحال اندفع رجال «إيڤان» كالذئاب شاهرين بنادقهم في أيديهم يبحثون عن ماجد «و كارمن» التي هتفت بقلق : ما العمل الآن . . إننا محاصران بالنار وهؤلاء المجرمين . . ولن يمكننا البقاء مكاننا طويلاً وإلا التهمتنا النيران أو أكتشف «إيفان» ورجاله مكاننا .

وما كادت كارمن تتم عبارتها حتى اهتزت الجزيرة بأكملها في عنف . . اندفعت فجأة من قلب الجزيرة نافورة هائلة لأعلى ، عبارة عن سائل داكن من الحمم يغلي ويفور ويكتسح كل ما يجده في طريقه .

كانت المفاجآة مرعبة ، حتى أن ماجد هتف غير مصدق : إنها مفاجآة غير متوقعة ، قد تسبب انفجار الصاروخ في تعجيل انفجار البركان داخل الجزيرة . . فلنسرع بالقفز إلى الماء قبل أن تحولّنا الحمم المشتعلة إلى رماد .

ولكن «كارمن» صرخت باكية : إننا لن نتمكن من النجاة . . إنها النهاية فتلك الحمم سوف تجعل الماء حول الجزيرة مقبرة مشتعلة ، وسنسبح في سوائل مصهورة ستحولنا إلى رماد في لحظات .

ولكن ماجد جذبها من ذراعها وهو يقول : يا عزيزتي . . لا أظن أنه مقدر لنا أن نموت قبل أن نتناول عشاءنا معاً في مكان معاً!

واندفع الاثنان يعدوان إلى المياه وألقيا بنفسيهما بداخلها وشرعا يسبحان مبتعدين عن الجزيرة المشتعلة .

كان ماجد يفكر في أنه لا يزال أمامه أمل وحيد. . في أن يتمكن من الوصول إلى غواصته الصغيرة أسفل الجزيرة ليهرب بها من الحمم المشتعلة.

ولكنه ما كاد يغوص لأسفل حتى شاهد الغواصة الصغيرة وهي تنشطر نصفين. . وفي اللحظة التالية اندفعت الحمم خلفه وكارمن كالجحيم.

وأغلقت «كارمن» عينيها وقد أدركت أنه لا أمل في النجاة. . وقد كان من المستحيل عليها هي وماجد أن يتمكنا من السباحة بعيداً عن الجزيرة مهما كانت سرعتهما في ذلك. . فقد كانت سرعة مطاردة الحمم لهما أكبر كثيراً.

ولكن الإنقاذ جاء بطريقة غير متوقعة. . عندما اندفع كائنان بحريان كبيران من قلب الماء، وحملا في لحظة واحدة «كارمن» وماجد فوق ظهريهما. . ثم انطلقا بكل سرعتهما يشقان قلب المياه بعيداً عن الحمم المنصهرة الساقطة في قلب المحيط.

كانا هما الدرفيلان اللذان أنقذ ماجد أحدهما. . وحدّقت «كارمن» في الحيوان البحري تحتها غير مصدقة ما يحدث،

وربت ماجد على الدرفيل الذي امتطاه بسعادة قائلاً : لقد جئت في اللحظة المناسبة يا عزيزي لتؤكد أنك وفي حقاً، وأكثر تقديراً لرد الجميل من بعض البشر!

فنظرت «كارمن» في ذهول لماجد وهي تقول له : ما الذي يحدث لنا . . أنا لا أفهم شيئاً.

فأجابها مداعباً : إنها صداقة قديمة بيني وبين الدلافين . . وربما أخبرك بالقصة يوماً ما!

وعندما ابتعد الدرفيلان براكبيهما مسافة آمنة، توقفا وقد اصابهما التعب الشديد . . ثم غاصا مبتعدين بعد أن شعرا أنهما أديا ما عليهما من واجب . . تاركين ماجد و«كارمن» في قلب المحيط الواسع!

وتأمل ماجد المكان حوله، كانت الجزيرة المتفجرة على البعد تضيء حممها السماء بلون دموي وقد تحولت إلى كتلة من النيران والسوائل المصهورة يستحيل أن ينجو منها إنسان . . وقد صارت أشبه بمقبرة دفنت القنابل النووية في قلبها إلى الأبد! ومن الناحية الأخرى . . كان سطح المحيط مظلماً غارقاً في السكون . . وأقرب ساحل يقع على بعد آلاف

الأميال يستحيل الوصول إليه ولو بمعجزة!

وانفجرت «كارمن» في الضحك للموقف الغريب وهي تقول : يبدو أن أصدقاءك من الدرافيل أنقذتنا من الموت من حمم البركان . . لنموت غرقى في قلب المحيط بعد أن تخور قوانا!

ماجد : للأسف فان قائد الغواصة التي أحضرتني الى هنا مشهور بدقته الشديدة في تنفيذ التعليمات والأوامر التي تصدر إليه ، ولذلك غادر المكان منذ دقائق قليلة في منتصف الليل بالضبط كما طلبت منه ، ولو انتظر بضع دقائق لتمكن من انتشالنا من المحيط!

قالت «كارمن» في أسى : لقد حدث لي نفس الشيء . . ولو أنني طلبت من قائد غواصتنا البقاء بضع دقائق بعد منتصف الليل . . لتمَّ إنقاذنا!

وما كادت «كارمن» تكمل عبارتها حتى شهقت من المفاجآة . . في تلك الليلة الحافلة بالمفاجآت المتتالية .

فمن اليمين واليسار برز هيكلان معدنيان كبيران . . أحدهما كان مرسوماً عليه العلم المصري . . والآخر العلم الأمريكي .

كانتا هما الغواصتان المصرية والأمريكية . . وكان ظهورهما مفاجآة غير متوقعة . مفاجآة سارة بكل تأكيد!

وانفتحت كوة في مقدمة الغواصة المصرية ، فظهر منها العقيد «صلاح فخري» قائدها وقد اشرق وجهه بالسرور ، فهتف ماجد به : لقد أحسنت بالإنتظار لبعض الوقت . . فقد دعوت سيدة رقيقة على العشاء فوق مائدتي . . وكان الأمر سيبدو مجافياً للذوق الا أجد المائدة التي سأقدم عليها الطعام!

فامتلأ وجه «كارمن» بسرور بالغ لدعابة ماجد وسبحت تجاه الغواصة المصرية وهي تشعر بجوع حقيقي شديد . . فقد كان مستحيلاً عليها أن ترفض دعوة للعشاء بعد كل ذلك العناء الذي لاقته هذا المساء . . وخاصة أن الدعوة قد جاءتها من رجل فريد لا مثيل له . . لم تصادف مثله في حياتها .

رجل كان هو . . «رجل المهام الصعبة»!

* * *

العملية القادمة :

انتقام التنين الذهبي

في مدينة «هونج كونج» وداخل أحد قصورها، كان يعيش التنين الذهبي.. رجل المافيا الرهيب في جنوب آسيا.. والذي يدير إمبراطورية للشر وتهريب المخدرات إلى «مصر والشرق الأوسط».

ويتساقط عملاء السيد «م» قتلى مخالب «التنين الذهبي».. فهل ينجح رجل المهام الصعبة في القضاء على أسطورة ذلك الرجل الداهية في قلب عرينه.. في مدينة التنين الذهبي؟

هذه العملية :

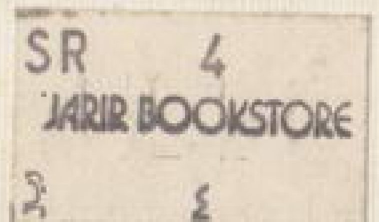
تـأليف : مَجـدي صَابر

« جزيرة السفّاح »

جزيرة بدائية غامضة في قلب المحيط الأطلنطي.. فجأة تتحول إلى دوامة جهنمية لكل السفن العابرة بالقرب من شواطئها.

ويذهب « ماجد شريف » لاستكشاف سر تلك الجزيرة، فيواجه سفاحاً مجنوناً يخطط لدمار العالم.. فماذا كانت نتيجة المواجهة الدامية ؟





دار الجيل
بيروت

BLUE BIRD




تحيا مصر